الحياة

في ظل العقيدة الإسلامية

تأليف

فضيلة الشيخ العلامة

زيد بن محمد بن هادي المدخلي

دار المنهاج

الحياة

في ظل العقيدة الإسلامية

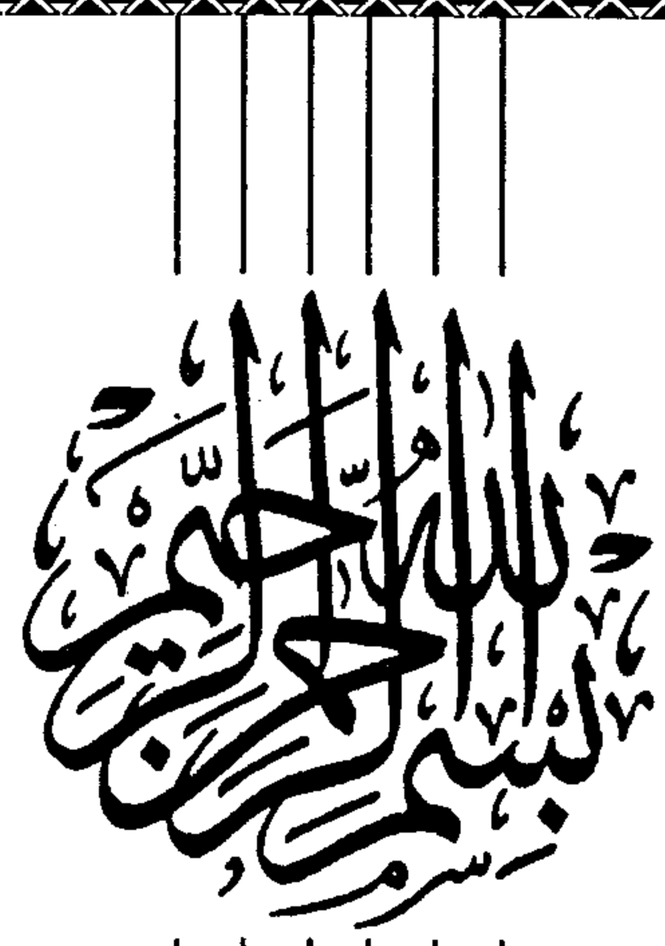

جميع حقوق الطبع محفوظة
لـ " دار المنهاج "

١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م

رقم الإيداع: ٢٠٣١٩ /٢٠٠٣م

٨١ شارع الهدي المحمدي- متفرع من أحمد عرابي- مساكن عين شمس- القاهرة

جمهورية مصر العربية محمول: ٠١٢٣٩٥٣٣١٧

E-Mail:DarAlmenhaj@HotMail.Com

الحياة في ظل العقيدة الإسلامية

تأليف

فضيلة الشيخ العلامة

زيد بن محمد بن هادي المدخلي

المنهاج

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

تقـريـظ

الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن مُحَمَّدًا عبده ورسوله -صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا-.

وبعد: فقد عرض عليَّ أخي وزميلي فضيلة الشيخ/ **زيد بن مُحَمَّد بن هادي المدخلي** بَحثًا قيمًا فِي أسس العقيدة الإسلامية وبيان أهدافها بأن قرأه عليَّ جَميعه فوجدته بَحثًا ممتازًا عرض فيه أسس العقيدة الإسلامية وبين أهدافها بعبارة شيقة وأسلوب جذاب مع معالجته للأمراض الَّتِي تنشأ عن ضعف العقيدة والجهل بأسسها وأهدافها.

لذلك فإن هذا البحث جدير بالطبع والنشر لما له من هدف سام وقيمة عظيمة وتأثير فعال على من قرأه بتفهم، فجزاه الله خيرًا وزاده توفيقًا وسدادًا وبارك فيه وفِي عمره ووفقه.

وكم نحن بحاجة إلَى رجال مثله يبينون للناس الحق ويدعونَهم إليه بأساليب الدعوة المعروفة من خلال الدروس والندوات والمحاضرات حَتَّى تعي ناشئتنا ما خلقت له وأوجدت من أجله -وصلى الله على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا-.

كتبه الفقير إلى رحمة مولاه

أحمد بن يحيى بن محمد النجمي

في ١٤٠٥/٩/٤هـ

خاطرة تبين قدر العقيدة الإسلامية عند أهلها وموقف الأعداء منها

[إن العقـــيدة أسٌّ فِي الحياة وإن ضـــاعت فكل حياة بعدها عدم]

نادى بِها المصطفى فِي بدء دعوته فحاد عنها ذوو الإشراك فانْهزموا

وعصـــبة من خيار الخلق إذ سمعوا ذاك الـــنداء فلبـــت منهم الهمم

قـــالوا رضينا بذا الإسلام يحرسنا أكـــرم بـــه منهجًا للناس معتصم

فـــيه الســـعادة والحســـنى لمعتبر والعـــز فـــيه ورغد العيش والنعم

فـــيه الســـناء وفيه اليمن مزدهرًا والأمـــن فـــيه فنعم الذخر يا أمم

فـــيه الوئام وحسن الخلق مكتملاً لكـــن أعداءه فِي سَمعهم صمم

فـــيه السهولة والخيرات أجْمعها فـــيه الهـــناء فـــلا ظلم ولا عتم

[ما ضر موكبه المفضل أن طرحوا صخرًا على دربه فالصخر ينحطم]

[وهل يعوق ضياء الشمس إن سطعت غيم على جنبات الشمس يزدحم]

[كلا ولا حجبت أنوارها سحب كثـــيفة بـــل ضياء الفجر يقتحم]

تلـــك العقـــيدة بالبشرى أقدمها ظـــل ظلـــيل وبالإخلاص تتسم

تلـــك العقـــيدة لا نبغي بِها بدلاً لَهـــا ضياء كنور الشمس يا أمم

تلـــك العقـــيدة ما أغلى معالمها لا ريب فيها وفيها العدل والحكم

تلـــك العقيدة يا أحباب مصدرها وحـــي كريم ألا سوأى لمن كتموا

تلـــك العقـــيدة مفتاح بلا جدل لجـــنة الخلـــد فِـــي روضاتِها نعم
تلـــك العقـــيدة مـــنجاة ومرحمة يـــوم القدوم على المولى ومعتصم
ثُـــمَّ الصلاة على الهادي مباركة ما أسفر الصبح وانزاحت به الظلم
والآل والصـــحب والأتباع قاطبة ومـــن أتـــى بعدهم بالحق يلتزم
معهـــا ســـلام كعد الرمل أبعثه مـــع الكـــرام إلَـــى من دينه قيم
خير الورى وإمام الخلق ذي شرف أكـــرم بـــه مرسلاً بالدين معتصم

(المـؤلـف)

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

أما بعد: فإن خير العلوم وأزكاها هو علم توحيد رب العالمين الذي يتحقق بفهم أسس العقيدة الإسلامية وأهدافها النبيلة والعمل بِمقتضاها ظاهرًا وباطنًا، وليس غريبًا أن هذا العلم -علم التوحيد- عظيمًا وجليلاً وجديرًا بالبحث فيه والتعمق فِي فهم حقائقه ومراميه، ذلك لأن الرسالات السماوية كلها قد نادت بالدعوة إليه واتفقت على العمل به: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ**﴾ [الأنبياء:٢٥].

وحيث إنني أحببت أن أستثمر بعض أوقاتِي فِي كتابة بحث لأنتفع به ولعله ينتفع به غيري من طلاب العلم ومحبيه، فوقع اختياري على أن يكون بحثِي شرحًا لأسس العقيدة الإسلامية الأصيلة وإيضاحًا لأهدافها الجليلة ومقاصدها النبيلة، فاستعنت بالله على الكتابة فِي هذا الموضوع المكون من المقدمة وبابين وخاتمة.

فأما المقدمة فإنَّها تشتمل على الحديث على أهمية العقيدة الإسلامية

فِي حياة البشرية وأقسام الناس حيالها، كما تشتمل على تبيان الحياة فِي ظل هذه العقيدة وبيان حياة من انحرف عنها واتبع هواه.

وأما البابان: فقد تحدثت فِي الأول منهما عن أسس العقيدة الإسلامية بالتفصيل، وتحدثت فِي الثانِي منهما عن أهداف هذه العقيدة كذلك.

وأما الخاتِمة: فكان الحديث فيها عن مقومات النصر لأهل هذه العقيدة العالمين بِها والعاملين بأسسها وأهدافها ومقتضياتِها، وربنا الرحمن الرحيم هو المسئول والمرجو أن ينفعنا بِما علمنا وأن يعلمنا ما ينفعنا وأن يجعل أعمالنا كلها صالحة ولوجه الكريم خالصة.

زيد بن محمد بن هادي المدخلي

المدرس في معهد صامطة العلمي -سابقا-

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

الحمد لله لا إله إلا هو له الحمد فِي الأولَى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون، وأشهد أن لا إله إلا الله هو الذي ذرأكم فِي الأرض وإليه تحشرون.

أحمده سبحانه حمدًا مطلقًا إذ هو الذي أنشأكم وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون. وأشكر وله كمال الشكر وأستغفره وهو أهل المغفرة: ﴿**إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ**﴾ [يس: ٨٢]. وأشهد أن سيدنا مُحَمَّدًا عبد الله ورسوله، وخيرته من بريته الموصى إليه ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ**﴾ [الأنبياء:٢٥].

صلى الله وبارك عليه وعلى إخوانه من الأنبياء والمرسلين الذين جاءوا بالحق وبه كانوا يعملون وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد: فهذا بحث وجيز يشرح أسس العقيدة الإسلامية الَّتِي من أجل معرفتها وتحقيقها والعمل بِمقتضاها خلق الإنس والجن، وبتبيانِها بادئ ذي بدء أنزلت الكتب السماوية وأرسل الرسل الكرام وشرع

الجهاد فِي سبيل نشرها ودعوة كافة خلق الله إليها. كما يوضح أهدافها الجليلة، ومقاصدها النبيلة وغايتها الحميدة فأقول: من المسلَّم به أن الناس فِي كل زمان ومكان حيال هذه العقيدة قسمان: قسم اقتنع بأحقيتها وصلاحيتها فحببت إليه تعاليمها وتمكنت فِي قلبه وقالبه فكانت شعاره الغالي ودثاره المحبوب، فظل وبات وأصبح وأمسى يعيش فِي ظلها الظليل ويجاهد تحت لوائها الحق ورايتها الخفاقة المشرقة معتزًّا بِمبادئها وعاضًّا عليها بالنواجذ.

وهذا القسم هم اتباع الرسل الذين استجابوا لربِّهم وتَمسكوا بشرائع رسلهم وأنبيائهم، وضحوا فِي سبيل تحكيمها بالنفس والنفيس والغالي والرخيص.

وقسم[1] استحبوا العمى على الهدى، ووقفوا من هذه العقيدة موقف العداء -ووصموا سفهًا وجهلاً- المتمسك بِها، بالرجعي المتخلف عن مسايرة ركب الأعمال الجاهلية -الَّتِي يصح أن توصف: ﴿**كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ**﴾ [النور:٣٩-٤٠].

---

(١) كالكفار الصرحاء والمنافقين الخبثاء.

وإذا كان الأمر كذلك فإن القسم الأول من القسمين هو الذي سلك طريق الهدى والنور؛ فكان جزاؤه من جنس عمله الصالح المبرور، فهو يعيش فِي هذه الدنيا فِي نور، ويحيا حياة برزخية من نور، فإذا جاء يوم القيامة يوم العرض الأكبر على الله، والمرور على صراط الله يوم تقسم الأنوار بين المؤمنين والمنافقين فسرعان ما تنطفئ أنوار المنافقين فهم فِي ظلمات لا يبصرون، وتثبت أنوار المؤمنين فتسعى بين أيديهم وبأيْمانِهم، فيمرون على الصراط سراعًا بحسب أعمالهم حَتَّى يستقر بِهم الحال فِي جوار الكبير المتعال فِي جنة عرضها كعرض السماء والأرض: **«بناؤها لبنة ذهب ولبنة فضة، وملاطها المسك وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت وترابُها الزعفران، من يدخلها ينعم فلا يبأس ويخلد لا يَموت، لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه»**[1]. **«هي ورب الكعبة نور يتلألأ وريحانة تَهتز وقصر مشيد**

---

(١) هذه قطعة من حديث طويل رواه الإمام أحمد بسنده عن أبِي هريرة ﷺ أنه قال: قلنا يا رسول الله إذا رأيناك رقت قلوبنا وكنا من أهل الآخرة، وإذا فارقناك أعجبتنا الدنيا وشممنا النساء والأولاد، قال: **«لو تكونون على كل حال على الحال الَّتِي أنتم عليها عندي لصافحتكم الملائكة بأكفهم، ولزارتكم فِي بيوتكم، ولو لَم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون كي يغفر الله لَهم»**. قال: قلنا يا رسول الله حدثنا عن الجنة ما بناؤها، قال: **«لبنة ذهب ولبنة فضة وملاطها المسك وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت، وترابُها الزعفران، من يدخلها ينعم لا يبأس ويخلد لا يموت، لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه، ثلاثة لا ترد دعوتُهم الإمام العادل، والصائم حَتَّى يفطر، ودعوة المظلوم تحمل على الغمام وتفتح لَها أبواب السموات ويقول الرب: وعزتِي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين»**.

ونَهر مطرد وثَمرة نضيجة، وزوجة حسناء جَميلة وحلل كثيرة ومقام فِي أبد فِي دار سليمة وفاكهة وخضرة وحبرة ونعمة فِي محلة عالية بَهية»[١].

فما أجدرنا نحن المسلمين أن نَمد أكف الضراعة فِي كل وقت وحين إلَى المولى العظيم أن يرزقنا الجنة وما يقرب إليها من قول وعمل وأن يعيذنا من النار وما يقرب إليها من قول أو عمل.

وأمَّا القسم الثانِي: فهم الذين كتب عليهم الحرمان من فضل ذي الفضل والمنة والإحسان بِما اختاروا لأنفسهم من أسباب الشقاء والهلاك والخذلان وما ظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون، فيكون جزاؤهم من جنس عملهم الفاسد القبيح جزاء وفاقا؛ إذ كانوا يعيشون فِي الحياة الدنيا فِي ظلمات الجهل والضلال، ويتقلبون فِي حمأة الشر وسوء الفعال، لا إسلام، ولا إيْمان، ولا أمن، ولا استقرار، ولا إحسان، بل يعيشون فِي قلق نفسي، واضطراب فكري وخواء روحي وضيق فِي الصدر عظيم، وذلك لأنَّهم قد عميت بصائرهم، وزلت بِهم فِي المعصية أقدامهم، وضلت عن نواميس الحق قلوبُهم وجوارحهم. فهم فِي غيهم يعمهون، وفِي ريبهم يترددون ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلاَ إِنَّهُمْ هُمُ

---

(١) رواه ابن ماجه فِي كتاب الزهد (ج٢/باب٣٩/ص١٤٤٩). وقال فِي الزوائد: فِي إسناده مقال، إذ فِي سنده الضحاك المعافري الدمشقي، ذكره ابن حبان فِي الثقات وقال الذهبي فِي طبقات التهذيب: مجهول كما فِي سنده سليمان بن موسى، مختلف فيه وباقي رجال إسناده ثقات. اهـ. بتحقيق مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي.

الْكَاذِبُونَ ﴿١٨﴾ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُوْلَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلاَ إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المجادلة:١٨-١٩].

أما حياتُهم البرزخية فهي حياة العذاب والنكال، والعرض الدائم على النار كما يشاء الله الواحد القهار، حَتَّى إذا جاء اليوم العظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين وبرزوا لله ليحكم بينهم فيما كانوا فيه يختلفون، ويومئذ لا ينفع الذين كفروا معذرتُهم ولا هم يستعتبون، وجاءتْهم جهنم تقاد بسبعين ألف زمام، كل زمام فِي يد سبعين ألف ملك لتؤويهم إليها فيكونون وقودها أبد الآبدين، لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها، فَيَا وَيْلَهم ما أصبرهم على النار!! وما أعظم خسارتِهم إذ خسروا أنفسهم وأهليهم فِي دار القرار!!.

ويا حسرتَهم حين ينادون ربَّهم قائلين: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾ [المؤمنون:١٠٧]. فيكون جوابه لَهم: ﴿قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلاَ تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون:١٠٨].

﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [يس:٣٠]. ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلاَّ اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنبياء:٢].

ألا وإن الهداية والضلال بتقدير ذي العظمة والجلال فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام رحْمة منه وفضلاً -ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقًا حرجًا كأنَّما يصعد فِي السماء حكمة منه وعدلاً. لا

يسأل عما يفعل وهم يسألون. فمن اهتدى من البرية فأولئك هم خير البرية، ومن ضل وغوى فأولئك هم شر البرية. وهذا أوان الشروع فِي موضوع البحث المبارك أرجو الله وهو خير من يرجى أن يجعل له آذانًا صاغية وقلوبًا واعية وجوارح منقادة لأمر الله رب العالمين.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

بسم الله الرحمن الرحيم

الباب الأول
العقيدة الإسلامية وأسسها العامة

تعريف العقيدة فِي لغة العرب: مشتقة من العقد وهو الشد، يقال: عقدت الحبل بِمعنَى شددته[1]، **وفِي الاصطلاح:** جزم القلب بشيء ما، وانطواؤه عليه.

❊ وأما تعريف العقيدة الإسلامية شرعًا فيتجلى فيما يلي:

هي العمل ظاهرًا وباطنًا فيما جاء به رسول الله ﷺ من عند الله مقترنًا بالرضا والتسليم والصدق والإخلاص.

وإن شئت فقل: هي الإيْمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره من الله -تبارك وتعالى-.

❊ ❊ ❊ ❊ ❊

(١) انظر مختار الصحاح (ص٤٤٤-٤٤٥).

أسس العقيدة الإسلامية

وأما أسس هذه العقيدة فمذكورة فِي القرآن الكريم والسنة المطهرة وهي كما يلي:

١- الإيْمان بالله.

٢- الإيْمان بالملائكة.

٣- الإيْمان بالكتب المنْزلة.

٤- الإيْمان بالرسل.

٥- الإيْمان باليوم الآخر.

٦- الإيْمان بالقدر خيره وشره من الله تعالى.

قال تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلاَئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

* * * * *

حقيقة الإيمان

فحقيقة الإيْمان من حيث هو نطق باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالجوارح يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي[١].

فالنطق باللسان كالنطق بالشهادتين والإقرار والالتزام بمقتضاهما كما قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾ [الأحقاف:١٣].

واعتقاد الجنان هو عمل القلب، وعمل القلب هو النية الصالحة والإخلاص فِي العمل والمحبة الصادقة والانقياد التام والتوكل على الله فِي كل حال، والرغبة فيما عند الله من الفضل والإحسان والخوف والرهبة مِمَّا لديه من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

وأما عمل الجوارح فكل كلم طيب وعمل صالح وفعل حسن يقوم به العبد ابتغاء رضوان الله ورجاء جنة عرضها السموات والأرض، وفِي

---

(١) انظر معنَى ذلك فِي كتاب الإيْمان لشيخ الإسلام بن تيمية -رحِمه الله- بتخريج الألباني (ص٢٧٩-٢٨٠)، وانظر أيضًا شرح العقيدة الطحاوية للعلامة ابن أبِي العز الحنفي (ص٣٧٣)، ثُمَّ انظر معارج القبول للشيخ حافظ أحمد بن أحمد الحكمي من (ص١٧) إلَى (ص٢٢) الجزء الثانِي.

هذا المعنَى يقول الشاعر السلفي[١]:

إيْماننـــا بالله بيـــن ثلاثـــــة عمل وقول واعتقاد جنان
ويزيد بالتقوى وينقص بالردى وكلاهما فِي القلب يعتلجان

* * * * *

(١) هو الإمام عبد الله بن مُحَمَّد الأندلسي المالكي وقبل هذا البيت قوله:

"احذر عقاب الله وارج ثوابه حَتَّى تكون كمن له قلبان"

وبعد البيتين قوله:

وإذا خلوت بريبـــة فِي ظلمـــة والنفس داعية إلَى الطغيان
فاستحي من نظر الإله وقل لَها إن الذي خلق الظلام يرانِي

الأساس الأول من أسس العقيدة الإسلامية

❊ الإيمان بالله:

والإيْمان بالله هو الأساس الأول من أسس هذه العقيدة الإسلامية والركن الأعظم من أركانِها ويشمل: الإيْمان بوجود الله، والإيْمان بربوبيته، والإيْمان بألوهيته، والإيْمان بأسمائه وصفاته.

فأما الإيْمان بوجوده ﷻ فقد جاءت الأدلة العقلية والنقلية تثبته وتدل عليه وترشد إليه. فإن هذه المخلوقات فِي العالم العلوي والسفلي لابد لَها من خالق أوجدها بعد أن لَم تكن، إذ لا يُمكن أن توجد نفسها، أو يوجد بعضها بعضًا، أو توجد صدفة بدون موجد كما زعم الدهريون الطبائعيون الشيوعيون الملحدون؛ بل إن وجودها على هذا النظام البديع والتنسيق المحكم والتدبير العظيم ليدل دلالة واضحة على وجود خالقها وبارئها وهو الله جل فِي علاه، وقد أشار القرآن الكريم إلَى هذا الدليل العقلي والبرهان القاطع بقوله سبحانه: ﴿**أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ**﴾ [الطور:٣٥].

والمعنى أنَّهم لَم يخلقوا من غير خالق ولا خلقوا أنفسهم، فيتعين حتمًا أن يكون الله هو خالقهم، أما غيره فلا يملك لنفسه ولا لغيره ضرًّا ولا نفعًا ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا.

ولقد أودع الله في الفطر الإنسانية السليمة الَّتي يدرك بها الإنسان إدراكًا جازمًا أن له ربًّا موجودًا خالقًا ورازقًا، وإلَهًا عظيمًا وقويًّا قادرًا يفزع إليه عند الشدائد والمحن والكروب، ويلجأ إليه إذا ادلهمت الفتن والمصائب والخطوب، وقد أشار القرآن إلَى تلك الفطرة بقوله: ﴿**فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ**﴾ [الروم:٣٠].

وأما الأدلة النقلية على وجود الله الأول الذي ليس قبله شيء والآخر الذي بعده شيء والظاهر الذي ليس فوقه شيء والباطن الذي ليس دونه شيء فكثيرة جدًّا منها قوله تعالى: ﴿**ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**﴾ [الأنعام:١٠٢-١٠٣]. وقوله -عز شأنه-: ﴿**قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ**﴾ [الأنعام:١٦٤]. وقوله -جل وعلا-: ﴿**قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَى ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى**﴾ [طه:٤٩-٥٠]. وفِي حديث الرقية: «**ربنا الله الذي فِي السماء تقدس اسمك**»[(١)]. الحديث. وقول النَّبي ﷺ للجارية: «**أين الله؟**. قالت: فِي السماء قال: **من أنا؟**. قالت: أنت رسول الله ﷺ، قال: **أعتقها فإنَّها مؤمنة**»[(٢)].

---

(١) أخرجه أبو داود فِي كتاب الطب رقم (٣٧٤٧) عن فضالة بن عبيد عن أبِي الدرداء، وأخرجه أحمد فِي مسنده (ج٦/ص٢١) عن فضالة بن عبيد أيضًا.

(٢) أخرجه أبو داود فِي كتاب الإيْمان باب الرقية رقم (٣١٥١) عن معاذ بن الحكم السلمي.

والأدلة الدالة على وجود الله الناطقة بذلك أكثر من أن تحصر لا ينكرها أو يشك فِي معانيها إلا من سفه نفسه وقل علمه وعميت بصيرته وغفل قلبه وكان أمره فرطًا.

وأما الإيْمان بربوبيته سبحانه فهو الاعتقاد الجازم والإقرار الصريح بأن الله رب كل شيء ومليكه وخالقه ورازقه ومحييه ومميته، والمتصرف فيه بِما شاء كيف شاء ومتى شاء، إذ ما شاء الله كان وما لَم يشأ لَم يكن، فهو رب العالمين ومالك يوم الدين خلق كل شيء فقدره تقديرًا، وأعطى كل شيء خلقه ثُمَّ هدى، وهذا النوع من التوحيد أقر به المشركون فِي زمن النَّبِي ﷺ وعن إقرارهم أخبر القرآن بقوله: ﴿**وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ**﴾ [العنكبوت:٦١]. وبقوله جل ذكره: ﴿**قُل لِّمَنِ الأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ**﴾ [المؤمنون:٨٤-٨٥]. ﴿**قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ**﴾ [المؤمنون:٨٦-٨٧]. بيد أن إقرارهم بِهذا النوع من التوحيد فقط لَم يدخلهم فِي الإسلام؛ لأنَّهم لَم يعترفوا بوحدانية الله بل أشركوا معه غيره فِي العبادة، والله أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك معه فيه غيره تركه وشركه(١).

---

(١) هذا معنَى حديث قدسي رواه الإمام أحمد بسنده عن أبِي هريرة رضي الله عنه، عن النَّبِي ﷺ يرويه عن الله عز وجل أنه قال: «**أنا خير الشركاء، فمن عمل عملاً أشرك فيه غيري فأنا بريء منه، وهو للذي أشرك**».

وقد عبد أولئك المشركون المواجهون بالدعوة المحمدية بادئ ذي بدء الأصنام والأوثان، وحجتهم فِي ذلك ليكونوا لَهم شفعاء عند الله ووسائط يقربونَهم إليه، كما أخبر الله عنهم بقوله: ﴿**مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى**﴾ [الزمر:٣]. وأنكر عليهم القرآن أيما إنكار فقال: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**﴾ [الأعراف:١٩٤]. وقال سبحانه: ﴿**وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلاَ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ**﴾ [الأعراف:١٩٧]. وأوضح لَهم البراهين وضرب لَهم الأمثال فقال: ﴿**يَأَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ من دُون اللَّه لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَو اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لاَ يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ**﴾ [الحج:٧٣].

وقال سبحانه: ﴿**مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا من دُونِ اللَّه أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ**﴾ [العنكبوت:٤١].

وقال -عز شأنه-: ﴿**ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَّجُلاً فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلاً سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ**﴾ [الزمر:٢٩].

كما أخبر الله على لسان رسوله بأنه قريب من عباده بعلمه وإحاطته واطلاعه؛ فلا حاجة إذن إلَى اتخاذ وسائط من المخلوقين فِي قضاء حاجة أو تفريج كربة أو دفع مكروه، قال تعالى: ﴿**وَإِذَا سَأَلَكَ**

عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُم يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة:١٨٦]. فسبحان من لَم يعزب عن علمه مثقال ذرة فِي السموات ولا فِي الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا فِي كتاب مبين.

ورغم هذه البراهين القاطعة والحجج الواضحة والأمثال النافعة فقد أَبَى القوم إلا أن يعبدوا اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى وغيرها من الأصنام والأوثان الَّتِي لا تحصى، وحينئذ احتدمت المعارك زمنًا طويلاً بين النَّبِي ﷺ وبينهم، فهو يدعوهم إلَى عبادة الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لَم يلد ولَم يولد ولَم يكن له كفوًا أحد، وهم يقولون: ﴿أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص:٥].

وكان يوصي بعضهم بعضًا بالثبات على عبادة تلك الأصنام والأوثان كما جاء ذلك فِي محكم القرآن: ﴿وَانطَلَقَ الْمَلأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ۝٦ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلاَّ اخْتِلاَقٌ﴾ [ص:٦-٧].

واستمرت الحرب سجالاً بين الفريقين فِي هذا النوع من التوحيد -توحيد الألوهية- حَتَّى فتح الله لنبيه الفتح المبين، ودخل الناس فِي دين الله أفواجًا منقادين وخاضعين فضلاً من الله ورحْمة والله ذو الفضل العظيم.

ومن خلال هذا العرض المختصر عن توحيد الألوهية يُمكن تعريفه بأنه: هو الاعتراف بوحدانية الله وصرف كل عبادة مالية أو بدنية أو هُما معًا له دون سواه، والبراءة التامة من الشرك وأهله إلَى يوم لقاء الله.

وبذلك يتحقق معنَى "لا إله إلا الله" ومعنَى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥].

وأما الإيْمان بأسْماء الله الحسنى وصفاته العليا فهو إثباتُها كما جاءت فِي النصوص الصحيحة الصريحة من كتاب ربنا ﷻ وصحيح سنة نبينا مُحَمَّد ﷺ إثباتًا من غير تحريف(١) ولا تأويل(٢) ولا تعطيل(٣) ومن غير تشبيه(٤) ولا تكييف(٥) ولا تمثيل بل حقًّا وحقيقة على الوجه اللائق

---

(١) **التحريف**: لغة: التغيير وإمالة الشي عن وجهه، وفِي الاصطلاح: هو العدول بالنصوص الصحيحة إلَى معان باطلة، وكما يكون فِي اللفظ يكون فِي المعنى.

(٢) **التأويل**: هو صرف اللفظ عن معناه الراجح إلَى معنَى مرجوح لقرينة صارفة من المعنى الراجح على المرجوح -كما يقولون- كتأويل اليد بالنعمة أو القدرة ونحو ذلك، وهذا ما يسمى بالتأويل المذموم.

(٣) **التعطيل**: لغة: التفريغ والإخلاء، ومنه قوله تعالى: ﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ﴾. أي: تركها أهلها، واصطلاحًا: هو إنكار ما يجب لله من أسْمائه وصفاته، أو إنكار بعضه وهو نوعان كلي كتعطيل الجهمية الذين أنكروا الصفات، وغلاتُهم ينكرون الأسْماء والصفات ويثبتون لله ذاتًا مجردة عن الأسْماء والصفات. وتعطيل جزئي كتعطيل الأشعرية الذين يؤولون بعض الصفات دون بعض كما هو معروف من مذهبهم فِي كتب هذا الفن.

(٤) هو أن يقال: إن صفات الله مثل صفات خلقه، كأن يقال: له يد كأيدينا.

(٥) هو تعيين كيفية صفات الله والهيئة الَّتِي تكون عليها، وهذا لا يُمكن للبشر بل هو من خصائص خالق البشر سبحانه.

بالموصوف بِها الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، وهذا هو اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلَى قيام الساعة، ومذهب أهل السنة والجماعة الذين هداهم الله فكانوا وسطًا بين المعطلة الذين نفوا عن الله ﷻ صفاته زاعمين أن إثباتَها لله يستلزم تشبيه الخالق بالمخلوق، وهذا الزعم الفاسد يدل قطعًا على أن القوم لَم يفرقوا بين صفات الخالق العظيم وبين صفات المخلوق العاجز الضعيف فوقعوا فِي المحظور، وبين المشبهة الذين أثبتوا لله صفات كصفات خلقه، وشبهتهم فِي ذلك أن هذا هو مقتضى النصوص فِي هذا الباب؛ إذ لا يمكن أن يخاطب الله البشر إلا بما يفهمون، وهذه الشبهة باطلة.

إذ إن للباري صفاته الكاملة اللائقة بعظمته وجلاله، وللمخلوق صفاته اللائقة بحاله المسبوقة بالعدم ويطرأ عليها النقص والعيب والفناء، وإنَّما الاشتراك بين صفات الخالق العظيم والمخلوق العاجز الضعيف فِي أصل المعنى فقط، أما الحقيقة والكُنْه فإن صفات الباري لا يعلم كنهها وحقيقتها إلا الموصوف بِها ﷻ.

ومن هذا المنطلق فهم علماء السلف الفرق والتباين بين صفات الخالق والمخلوق، ولما سئل بعضهم[1] عن صفة الاستواء -وهي من الصفات الفعلية الثابتة للموصوف بِها سبحانه حقيقة قال: الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والإيْمان به واجب والسؤال عنه بدعة.

---

(١) الإمام مالك وشيخه ربيعة -رحمهما الله-.

وخلاصة الأمر: لقد بطل رأي الطرف الأول: "المعطلة"، كما بطل رأي الطرف الثانِي: "المشبهة"، ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله - وثبت واستقام مذهب الطائفة الناجية المنصورة، وما ذلك إلا لأنَّهم استقوه من القرآن الكريم والسنة المطهرة: ﴿**وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ**﴾ [مُحَمَّد:١٧].

* * * * *

الأساس الثاني من أسس العقيدة

❊ الإيمان بالملائكة:

الإيْمان بالملائكة هو الأساس الثانِي من أسس العقيدة الإسلامية، وهم من المخلوقات العظام الذين خلقهم الله من نور قبل خلق أبينا آدم عليه السلام بدليل قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ**﴾ [البقرة:٣٠].

وقد وصفهم الله بأكمل الصفات وأزكاها حيث قال سبحانه فِي رده على الكافرين الملحدين الذين جعلوا الملائكة إناثًا: ﴿**وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ**﴾ [الأنبياء:٢٦].

رد عليهم بقوله سبحانه: ﴿**بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لاَ يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ**﴾ [الأنبياء:٢٦-٢٨].

كما قال فِي وصفهم أيضًا: ﴿**وَلَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلاَ يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لاَ يَفْتُرُونَ**﴾ [الأنبياء:١٩-٢٠].

وقال -جل وعلا-: ﴿**الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ**

بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا...﴾ [غافر:٧].

ثُمَّ هم بالنسبة لما هيأهم الله له وكلفهم بالقيام به على أقسام:

أ- فمنهم الموكل بالوحي من عند الله إلَى رسله فِي الأرض وهو جبريل عليه السلام إذ قد رآه النَّبي ﷺ على صورته الَّتِي خلق عليها مرتين، له ستمائة جناح قد سد الأفق، وأما بقية الأوقات فقد يأتيه فِي صورة رجل. أو يلقى المعنى فِي قلبه كما ثبت بذلك الحديث(١).

قال تعالى فِي وصفه: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ [التكوير:١٩-٢١]. وقال أيضًا: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء:١٩٣-١٩٥].

ب- ومنهم الموكل بالمطر وتصاريفه إلَى حيث أمره الله وهو ميكائيل عليه السلام كما فِي الحديث الذي روي عن ابن عباس أن النَّبي ﷺ قال لجبريل: «**على أي شيء ميكائيل؟ قال: على النبات والمطر**».

ج- ومنهم الموكل بالنفخ فِي الصور وهو إسرافيل عليه السلام فقد ورد

---

(١) المراد بالحديث المذكور هو ما جاء عن عائشة رضي الله عنها أن الحارث بن هشام رضي الله عنه سأل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله ﷺ: «**أحيانًا يأتِيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده علي، فيفصم عنِّي وقد وعيت عنه ما قال، وأحيانًا يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمنِي فأعي ما يقول**».

فِي القرآن الكريم أنه ينفخ ثلاث نفخات:

● **الأولى**: نفخة الفزع، كما فِي قوله تعالى: ﴿**وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ**﴾ [النمل:٨٧].

● **والثانية**: الصعق.

● **والثالثة**: نفخة القيام لرب العالمين، كما فِي قوله تعالى: ﴿**وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ**﴾ [الزمر:٦٨].

د- ومنهم الموكل بقبض الأرواح وهو ملك الموت وأعوانه، كما فِي قوله تعالى: ﴿**حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لاَ يُفَرِّطُونَ**﴾ [الأنعام:٦١]. وفِي حديث البراء[1] بن عازب ﷺ قال: «خرجنا مع رسول الله ﷺ فِي جنازة رجل من الأنصار فانتهينا إِلَى القبر ولما يلحد، فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله كأن على رءوسنا الطير، وفِي يده عود ينكت به الأرض فرفع رأسه فقال: **استعيذوا بالله من عذاب القبر** مرتين أو ثلاثًا ثُمَّ قال: **إن العبد إذا كان فِي انقطاع من الدنيا وإقبال إِلَى الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس، معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة، حَتَّى يجلسوا منه مد**

(١) رواه الإمام أحمد فِي المسند (ج٤/ص٢٨٧) عن البراء، وأبو داود فِي كتاب الجنائز باب الجلوس عند القبر رقم (٣٠٨٣).

البصر، ثُمَّ يجيء ملك الموت حَتَّى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس المطمئنة اخرجي إلَى مغفرة من الله ورضوان. قال: فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من فِي السقاء، فيأخذها فإذا أخذها لَم يدعوها فِي يده طرفة عين حَتَّى يأخذوها فيجعلوها فِي ذلك الكفن وفِي ذلك الحنوط ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على ظهر الأرض، فيصعدون بِها فلا يَمرون بِها على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذه الريح الطيبة؟ فيقولون: فلان بن فلان، بأحسن أسْمائه الَّتِي كانوا يسمونه بِها فِي الدنيا حَتَّى ينتهوا به إلَى السماء الدنيا، فيستفتحون له فيفتح له، فيشيعه من كل سماء مقربوها إلَى السماء الَّتِي تليها حَتَّى ينتهي بِها إلَى السماء السابعة، فيقول الله ﷻ: اكتبوا كتاب عبدي فِي عليين وأعيدوه إلَى الأرض، فإنِّي منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى. قال: فتعاد روحه، فيأتيه ملكان فيجلسانه، فيقولان له: من ربك. فيقول: ربي الله، فيقولان له: وما دينك، فيقول: ديني الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم، فيقول: هو رسول الله. فيقولان له: ما علمك. فيقول: قرأت كتاب الله تعالى فآمنت به وصدقت فينادي مناد من السماء أن صدق عبدي، فافرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له بابًا إلَى الجنة فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له فِي قبره مد البصر. قال: ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح. فيقول: أبشر بالذي يسرك هذا يومك الذي كنت توعد. فيقول له: من أنت فوجهك الوجه الذي يجيء بالخير. فيقول: أنا عملك الصالح. فيقول: رب أقم الساعة رب أقم الساعة حَتَّى

أرجع إلَى أهلي ومالي.

قال: وإن العبد الكافر إذا كان فِي انقطاع من الدنيا وإقبال إلَى الآخرة نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه معهم المسوح، فيجلسون منه مد البصر، ثُمَّ يجيء ملك الموت حَتَّى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلَى سخط من الله وغضب. قال: فتفرق فِي جسده فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول، فيأخذها، فإذا أخذها لَم يدعوها فِي يده طرفة عين حَتَّى يجعلوها فِي تلك المسوح، ويخرج منه كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض، فيصعدون بِها، فلا يَمرون بِها على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذه الروح الخبيثة. فيقولون: فلان بن فلان بأقبح أسْمائه الَّتِي كان يسمى بِها فِي الدنيا حَتَّى ينتهي بِها إلَى السماء الدنيا فيستفتح فلا يفتح له، ثُمَّ قرأ رسول الله ﷺ: ﴿لاَ تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلاَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠]. فيقول الله: اكتبوا كتابه فِي سجين فِي الأرض السفلى، فيطرح روحه طرحًا، ثُمَّ قرأ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١]. فتعاد روحه فِي جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك. فيقول: هاه هاه، لا أدري. فيقولان: ما دينك. فيقول: هاه هاه لا أدري. فيقولان: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم. فيقول: هاه هاه لا أدري. فينادي مناد من السماء أن كذب عبدي فافرشوه من النار وافتحوا له بابًا إلَى النار فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حَتَّى تختلف فيه أضلاعه، ويأتيه رجل قبيح

الوجه قبيح الثياب نتن الريح. فيقول: أبشر بالذي يسوؤك هذا يومك الذي كنت توعد. فيقول: من أنت فوجهك الوجه الذي يجيء بالشر. فيقول: أنا عملك الخبيث. فيقول: رب لا تقم الساعة، ثُمَّ يقيض له أعمى أصم أبكم فِي يده مرزبة لو ضرب بِها جبل كان ترابًا فيضربه ضربة فيصير ترابًا، ثُمَّ يعيده الله ﷻ كما كان فيضربه ضربة فيصير ترابًا ثُمَّ يعيده الله ﷻ كما كان فيضربه ضربة أخرى فيصيح صيحة يسمعها كل شيء إلا الثقلين. قال البراء ثُمَّ يفتح له باب إلَى النار ويُمهد له فراش من النار». رواه الإمام أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه بنحوه.

قلت: ينبغي للمسلم أن يتعلم هذا الحديث الجليل ويستحضره فِي كل وقت وحين لعله يعد للسؤال جوابًا ويحسب لتلك الفتنة حسابًا.

هـ- ومنهم الموكلون بحفظ العبد فِي كل حال من أحواله كما قال تعالى: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد:١١] والمعقبات هم الملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه فإذا جاء أمر الله خلوا عنه.

و- ومنهم الموكلون بحفظ أعمال العبد من خير وشر وهم الكرام الكاتبون الذي ذكرهم الله بقوله: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار:١٠-١٢]. وبقوله: ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق:١٨].

وجاء فِي الأثر[١] إن كاتب الحسنات على يَمين الرجل، وكاتب السيئات على يساره، وكاتب الحسنات أمين على كاتب السيئات، فإذا عمل حسنة كتبها صاحب اليمين عشرًا، وإذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال: دعه لعله يسبح أو يستغفر.

قلت: وهذا فضل من الله وإحسان، ورحمة عظيمة بِهذا الإنسان حيث تكتب الحسنات فورًا مضاعفة ثُمَّ يعطى فرصة زمنية بعد مقارفة السيئة لعله يتذكر فيستغفر الله، فسبحان الله وبحمده ما أحلمه وأكرمه ولا يهلك على الله إلا هالك.

ز- **ومنهم**: الموكلون بفتنة الناس فِي قبورهم كما مر بك فِي حديث البراء بن عازب ﷺ.

ومنهم: الموكلون بالنطفة فِي الرحم كما ورد فِي حديث ابن مسعود ﷺ قال: «حدثنا رسول الله ﷺ -وهو الصادق المصدوق-: **أن أحدكم يُجمع خلقه فِي بطن أمه أربعين يومًا نطفة، ثُمَّ يكون علقة مثل ذلك، ثُمَّ يكون مضغة مثل ذلك، ثُمَّ يرسل إليه الملك فينفخ الروح ويؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد**»[٢]. الحديث.

ومنهم: ملائكة سيَّاحون فِي الأرض يتبعون مجالس الذكر فيحفون

---

(١) تفسير القرطبي (ج١٧/ص٩-١٠).

(٢) جامع العلوم والحكم لابن رجب انظر (ص٤١) وهو متفق عليه من حديث ابن مسعود.

بأهلها إلَى عنان السماء[١].

ح- **ومنهم**: خزنة جهنم وقد أشار القرآن إلَى هذا الصنف من الملائكة بقوله سبحانه: ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوا أَوَ لَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلَالٍ**﴾ [غافر:٤٩-٥٠]. وقال ﷻ: ﴿**وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ**﴾ [الزخرف:٧٧].

ط- **ومنهم**: خزنة الجنة الذين أخبر الله عنهم بقوله: ﴿**وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ**﴾ [الزمر:٧٣].

ي- **ومنهم**: حَملة العرش ومن حوله الذين ذكرهم الله بقوله سبحانه: ﴿**الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَن تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾ [غافر:٧-٩].

---

(١) ثبت ذلك فِي الصحيحين وغيرهما من حديث أَبِي هريرة ﷺ عن النَّبِي ﷺ قال: «**إن لله تبارك وتعالى ملائكة سيارة فضلاً يتبعون مجالس الذكر ....**» الحديث.

ومنهم: ملائكة صفوف لا يفترون، ومنهم قيام لا يركعون، ورُكَّع سُجَّد لا يرفعون، كما قال النَّبِي ﷺ: «**أطت السماء وحق لَها أن تئط، ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته لله ساجدًا**»[1]. الحديث.

وقصارى القول: فإن الملائكة الكرام من مخلوقات الله العظام الَّتِي لا يحصى عددها ولا يحيط بأوصافها إلا خالقها الذي قال عنها: ﴿**وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ**﴾ [المدثر:٣١]. وقال سبحانه: ﴿**جَاعِلِ الْمَلاَئِكَةِ رُسُلاً أُوْلِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ [فاطر:١].

وفِي هذا المعنى ما رواه مسلم عن مالك بن صعصعة فِي حديث الإسراء ثُمَّ رفع إلَى البيت المعمور فقلت: «**يا جبريل ما هذا؟ قال: هذا البيت المعمور، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، إذا خرجوا منه لَم يعودوا إليه، -آخر ما عليهم-**» وذكر الحديث[2].

وغير ذلك من النصوص الَّتِي تدل على كثرتِهم كثير، هذا ومِمَّا

---

(١) الحديث رواه الإمام أحمد فِي المسند (ج٥/ص١٧٣)، والترمذي فِي سننه فِي كتاب الزهد الباب (٩) فِي قول النَّبِي ﷺ: «**لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً**». (ج٤/رقم ٢٣١٣) وإسناده حسن.

(٢) رواه البخاري فِي كتاب بدء الخلق الباب السادس (ج٦/ص٧٧-٨٠) عن أنس بن مالك بن صعصعة، ومسلم فِي كتاب الإيْمان وذكر الحديث (ج٢/ص٢٢٣-٢٢٥)، ورواه الإمام أحمد أيضًا فِي مسنده (ج٤/ص٢٠٧) عن أنس بن مالك بن صعصعة.

ينبغي الإشارة إليه أن الإيْمان بِهم يتضمن أمورًا منها:

١- الإيْمان بوجودهم وإن لَم نشاهدهم؛ لأنَّهم عالَم غيبِي وقد وصف الله المتقين أنَّهم يؤمنون بالغيب كما فِي صدر سورة البقرة.

٢- التصديق بِمن علمنا اسمه كجبريل وميكائيل وإسرافيل، فقد كان النَّبِي ﷺ يقول فِي دعاء الاستفتاح: «**اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالِم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدِني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تَهدي من تشاء إلَى صراط مستقيم**».

٣- الإيْمان بِما علمنا من صفاتِهم الخلقية كما جاء ذلك فِي صريح القرآن وصحيح السنة إجْمالاً وتفصيلاً.

٤- الإيْمان بِما بلغنا من أعمالِهم الَّتِي كلفهم الله بالقيام بِها وقد أشرنا فيما مضى إلَى ذكر أمثلة من الأعمال الَّتِي تقوم بِها الملائكة تنفيذًا لأمر الله. ولما كان الإيْمان بالملائكة ركنًا عظيمًا من أركان الإيْمان الستة وأساسًا متينًا من أسس العقيدة الإسلامية فإن له ثَمرات كثيرة نذكر منها ما يلي:

أ- العلم بعظمة الخالق سبحانه وقوته ونفوذ سلطانه إذ خلق هذا الخلق الذي لا يحصي عَدَدَه بشرٌ.

ب- وجوب شكر العبد ربه على ما أولاه من التربية العامة

والخاصة والعناية البالغة فقد سخر له ما فِي السموات وما فِي الأرض ومن جُملة ذلك الملائكة على اختلاف وظائفهم المهمة ومراتبهم العظيمة.

ت- وجوب مَحبة الملائكة إذ هم أنصح المخلوقات لعباد الله المؤمنين، كما قال سبحانه مبينًا نصحهم الصادق: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَن تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [غافر:٧-٩].

* * * * *

الأساس الثالث من أسس العقيدة

❊ الإيْمان بالكتب المنزلة:

الإيْمان بالكتب المنْزلة هو الاعتقاد الجازم بأنَّها منْزلة من عند الله -تبارك وتعالى- تكلم بِها قولاً، وأنزلَها على رسله وحيًا وآمن بِها ذوو الإيْمان برسلهم حقًّا وصدقًا.

وقد أمر الله الأمة المحمدية كلها أن تعلن إيْمانَها باطنًا وظاهرًا بِما أنزله على الأنبياء السابقين، حيث قال سبحانه: ﴿**قُولُوا آمَنَّا بِاللَّه وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**﴾ [البقرة:١٣٦]. كما أمر نبيها من قبل وهم تبع له فِي ذلك حيث قال سبحانه: ﴿**وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ**﴾ [الشورى:١٥].

وقد سمى الله من الكتب السماوية الْمُنْزلة: التوراة الَّتِي أنزلها على موسى عليه السلام والتِي وصف ما أودع فيها بأجْمل الأوصاف وأكملها بقوله الحق: ﴿**إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ**﴾ [المائدة:٤٤]. والإنجيل على عيسى عليه السلام ولقد أثنى الله عليه بقوله: ﴿**وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ**

وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة:٤٦]. والزبور على داود عليه السلام وهو الذي امتن الله به عليه فقال: ﴿وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا﴾ [النساء:١٦٣]. وصحف إبراهيم وموسى المنصوص على ذكرها في قوله: ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الأُولَى ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ [الأعلى:١٨-١٩]. والفرقان على مُحَمَّد -عليهم جَميعًا صلوات الله وسلامه- كما قال تعالى: ﴿الـــم ﴿١﴾ اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ﴾ [آل عمران:١-٤].

فما ذكره الله لنا من هذه الكتب الإلهية تفصيلاً وجب الإيْمان به على وجه التفصيل، وما ذكره لنا إجْمالا وجب علينا الإيْمان به على سبيل الإجْمال امتثالاً لأمره سبحانه: ﴿وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ﴾ [الشورى:١٥]. أما كتاب هذه الأمة المحمدية فهو الفرقان، وقد تعبدنا الله به تلاوة وفهمًا وتحليلاً وتحريْمًا وتحكيمًا، واعتبره سبحانه مهيمنًا على جَميع الكتب السماوية السابقة بدليل قوله سبحانه: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة:٤٨] ولميزات جليات وجليلات لِهذا القرآن لكونه آخر كتاب سماوي نزل على آخر رسول أرسل، فقد تكفل الله بحفظه بكل ما تحمل كلمة الحفظ من معنَى، فهو يُتلى في كل بقعة من بقاع الأرض كاملاً غير منقوص، وهذا تحقيق لوعده سبحانه حيث قال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر:٩].

ولقد امتن الله به على هذه الأمة فِي قوله سبحانه: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء:١٠]. وجعله شرفًا لَها ومفخرة من مفاخرها إن هم عظموه وائتموا به قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ [الزخرف:٤٤]. كما جعله -عز شأنه- ميراثًا باقيًا لَها لا يختص به ذكر دون أنثى ولا حر دون عبد ولا طبقة دون طبقة ولا جيل دون جيل إلا من أعرض عن نصيبه منه، وفِي هذا المعنى يقول -جل وعلا-: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ [فاطر:٣٢].

وكم من آية قرآنية قد جاءت ترغب فِي تعلم هذا القرآن الكريم والإكثار من تلاوته، تارة بصيغة الأمر، ومرة بلفظ الخبر كما قال سبحانه: ﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن الْكِتَابِ وَأَقِمِ الْصَّلاَةَ﴾ [العنكبوت:٤٥]. وقال سبحانه ﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ [الكهف:٢٧]. وقال -جل وعلا-: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾ [المزمل:٤]. وقال -جل ثناؤه-: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ﴾ [فاطر:٢٩]. وغير ذلك كثير، وكم من حديث شريف صح متنه وعلا سنده قد ورد فِي الترغيب فِي تلاوة هذا الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

من ذلك قول النَّبِي ﷺ: «اقرءوا القرآن فإنه يأتِي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه، اقرءوا الزهراوين البقرة وآل عمران فإنَّهما تأتيان يوم القيامة كأنَّهما غمامتان أو غيايتان أو كأنَّهما فرقان من طير صواف تحاجان عن أصحابِهما يوم القيامة -ثُمَّ قال-: اقرءوا البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة، ولا تستطيعها البطلة»(١). وقوله ﷺ: «يؤتى يوم القيامة بالقرآن وأهله الذين كانوا يعملون به فِي الدنيا تقدمه سورة البقرة وآل عمران تحاجان عن صاحبهما»(٢). وقوله ﷺ: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»(٣). وقوله أيضًا: «الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران»(٤). وفِي حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن النَّبِي ﷺ قال: «إن الله يرفع بِهذا الكتاب أقوامًا ويضع به آخرين»(٥).

---

(١) رواه الإمام أحمد فِي مسنده (ج٥/ص٢٤٩)، عن أبِي أمامة، ورواه الإمام مسلم فِي كتاب صلاة المسافرين وقصرها (ج٦/ص٩٠)، عن أبِي أمامة الباهلي.

(٢) رواه الإمام أحمد فِي مسنده (ج٤/ص١٨٣)، عن جبير بن نفير، ورواه مسلم فِي صحيحه فِي كتاب صلاة المسافرين وقصرها (ج٦/ص٩٠) المجلد الثالث عن جبير بشرح النووي.

(٣) رواه البخاري فِي كتاب فضائل القرآن باب: "خيركم من تعلم القرآن وعلمه" عن عثمان رضي الله عنه، وأبو داود فِي كتاب الصلاة رقم (١٤٢٥)، والترمذي فِي كتاب ثواب القرآن رقم (٢٩١١).

(٤) رواه مسلم فِي كتاب فضيلة حافظ القرآن (ج٦/ص٨٤) (النووي).

(٥) أخرجه مسلم فِي صلاة المسافرين رقم (٨١٧).

وجاء فِي حديث ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قرأ حرفًا من كتاب الله فله حسنة، والحسنة بعشر أمثالِها ولا أقول "ألم" حرف ولكن ألف ولام حرف وميم حرف**»(١). وفِي سنن الترمذي عن أبِي موسى ﷺ عن النَّبِي ﷺ قال: «**يقال لصاحب القرآن اقرأ ورتل كما كنت ترتل فِي الدنيا فإن منْزلك عند آخر آية تقرؤها**»(٢). وغير ذلك كثير.

ومن عجائب هذا القرآن أن سورة قصيرة منه قال فيها النَّبِي ﷺ: «**والذي نفسي بيده إنَّها لتعدل ثلث القرآن وهي ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾**(٣)». وسورة قصيرة أخرى هي سورة العصر قال فيها الإمام الشافعي: "لو ما أنزل الله على الخلق إلا هذه السورة لكفتهم".

فسبحان من أنزله وقال فيه: ﴿**وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا**﴾ [النساء:٨٢]. وحينما قال الكفار: إنه سحر، إنه كهانة، إنه شعر، إنه أساطير الأولين، إلَى غير ذلك من أكاذيبهم رد الله عليهم

---

(١) رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه رقم (٢٩١٢).

(٢) رواه أبو داود فِي كتاب الوتر، باب كيف يستحب الترتيل رقم (١٤١٤)، والترمذي فِي ثواب القرآن رقم (٢٩١) عن عمرو بن العاص، وقال: حديث حسن صحيح.

(٣) روى ذلك البخاري عن أبِي سعيد الخدري ﷺ أن رجلاً سَمع رجلاً يقرأ: "قل هو الله أحد" يرددها فلما أصبح جاء إلَى النَّبِي ﷺ فذكر ذلك له وكان الرجل يتلقاها فقال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده إنَّها لتعدل ثلث القرآن**».
وله ألفاظ أخرى عند أبِي داود والنسائي وغيرهما ولذا قال ابن القيم: "والأحاديث بكون قل هو الله أحد، تعدل ثلث القرآن كثيرة جدًّا".

بآيات مُحكمات أفحمتهم؛ إذ قال سبحانه: ﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [يس:٦٩-٧٠]. وقال ﷻ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم:٣-٤].

وقال عز من قائل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لاَ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ تَنـــزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت:٤١-٤٢]. وقال -عز شأنه-: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء:١٩٢-١٩٥]. وقال سبحانه: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لاَ يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنـــزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الواقعة:٧٧-٨٠].

وما فِي معنَى هذه الآيات كثير، ولقد قالت المعتزلة: إن القرآن مخلوق كغيره من المخلوقات حيث ظهرت هذه الفتنة فِي آخر عهد المأمون، فاقتنع بِها وألزم الأمة باعتناقها ومن أبى فسيكون عرضة لضرب عنقه بالسيف أو بالسياط إلَى الموت، فقال بِها كثير من الناس خوفًا من أقبية السجون وضرب السياط وفِي النهاية ضرب الأعناق.

أضف إلى ذلك حب المناصب فِي جهاز الدولة والحرص على رضاها ليكتسب من وراء ذلك المال العريض، بيد أن رجالاً صدقوا ما عاهدوا الله عليه فثبتوا على القول الحق فِي هذه المسألة وأعلنوها صريحة فِي كل موقف من المواقف العامة والخاصة بأن القرآن كلام الله مُنَزَّل غير مخلوق، من الله بدأ وإليه يعود، وأن الله تكلم به قولاً وأنزله على

رسوله وحيًا، وبلغه الرسول ﷺ حقًّا وصدقًا.

ومن هؤلاء: الإمام أحمد الذي صب عليه سوط العذاب ابتداء من خلافة المأمون الذي سلك طريقًا غير مأمون إلَى خلافة المتوكل، أي: مدة لا تقل عن ستة عشر عامًا.

ومنهم: مُحَمَّد بن نوح الذي صحب الإمام أحمد وثبت معه على الحق فمات فِي الطريق وهو مكبل بالحديد.

ومنهم: أحمد بن نصر الذي تأثر بسلوك الإمام أحمد وكان يعلن اعتقاده فِي مسألة القرآن مؤيدًا الإمام أحمد، فدعاه الخليفة وطلب منه أن يقول بخلق القرآن فأَبَى فأمر بضرب عنقه وأرسل رأسه إلَى بغداد فعلق فِي جانبها الشرقي برهة من الزمن ثُمَّ نقل إلَى الجانب الغربِي فعلق برهة من الزمن أخرى، وأما جسده فقد صلب فِي مدينة سامراء ليكون عبرة لغيره من الخلق كما أراد الواثق آنذاك، وفِي الواقع أن هذا الذي أقدم عليه الواثق وسنه من قبل ذلك المأمون ومؤيدوه من أعظم الجرأة على الله، سلفهم فِي ذلك الحجاج بن يوسف الذي قتل أكثر من مائة ألف رجل منهم بل أتقاهم سعيد بن جبير الذي ختمت حياة الحجاج بقتله - وعند الله تجتمع الخصوم-، وما أشبه الليلة بالبارحة، فكم اليوم من جبارين وعلمانيين فِي معظم ديار الإسلام والمسلمين، عرفوا بِموقفهم المشين من شريعة رب العالمين، منهم مَنْ قد وافته منيته فانتقل من دار العمل إلَى دار الجزاء على العمل، ومنهم من ينتظر غير معتبر بمن قد

مضى ويا ليته يأخذ العظة والعبرة من حال قوم تشبهوا بمن قص الله خبرهم بقوله: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [النمل:٥٢].

أعود فأقول: ومن أعجب ما نقل عن الإمام أحمد بن حنبل -رحِمه الله- حينما قال له عمه إسحاق بن حنبل: يا أبا عبد الله، قد أجاب أصحابك وقد أعذرت فيما بينك وبين الله وبقيت فِي السجن والضيق.

فقال الإمام أحمد: "يا عم إذا أجاب العالم تقية والجاهل يَجهل فمتى يتبين الحق؟"، ثُمَّ ذكر حديث خباب الذي قال فيه: شكونا إلَى رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة فِي ظل الكعبة، فقلنا: «ألا تستنصر لنا ألا تدعو لنا. فقال: **قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له فِي الأرض فيجعل فيها ثُمَّ يؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ويُمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه، ما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمن الله هذا الأمر حَتَّى يسير الراكب من صنعاء إلَى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون**»[1].

وهكذا يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فِي الحياة الدنيا وفِي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء.

---

(١) رواه البخاري فِي عدة مواضع كتاب الإكراه عن خباب (ص١٨)، ورواه الإمام أحمد بنحوه (ج٥/ص١٠٩-١١١).

ولقد استمرت تلك الفتنة العمياء الَّتِي أيقظها المعتزلة ما يقارب ستة عشر عامًا حيث بدأت فِي آخر عهد المأمون سنة ٢١٨هـ، وانتهت فِي عهد المتوكل سنة ٢٣٤هـ فالحمد لله على كل حال ونعوذ بالله من أحوال أهل النار.

❊ كلمة خاتمة لهذا الأساس من أسس العقيدة الإسلامية:

ولقد وصف الله هذا القرآن العظيم بالهداية إلَى الرشد، كما قال سبحانه إخبارًا عن الجن: ﴿**إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا**﴾ [الجن:١-٢].

وقال سبحانه: ﴿**إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ**﴾ [الإسراء:٩].

كما وصفه سبحانه بالحسن والجودة والكمال فقال -عز شأنه-: ﴿**اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ**﴾ [الزمر:٢٣]. كما رفع من شأنه وعظم أمره بقوله سبحانه: ﴿**وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ۝٤١ لاَ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ**﴾ [فصلت:٤١-٤٢]. وبقوله ﷻ: ﴿**إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ۝٧٧ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ ۝٧٨ لاَ يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ ۝٧٩ تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ [الواقعة:٧٧-٨٠].

كما وصفه سبحانه بأنه معجزة خالدة تتحدى عالم الإنس والجن فقال: ﴿**قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ**

يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء:٨٨].

كما أشار -جل وعلا- بفصاحته وبلاغته حيث قال: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء:١٩٢-١٩٥].

ولقد عرف هذا القرآن بأنه أسهب فِي شرح الفرائض والحدود وبيان الحلال والحرام وذكر الآداب والسلوك بِما لا يتسع هذا المقام لذكره إلا على سبيل الإشارة والتنبيه.

فلقد أمر بالصدق والوفاء والعدل والأمانة والإحسان إلَى القريب والبعيد، والتعاون على البر والتقوى، والسعي فِي الصلاح والإصلاح، وغير ذلك من الأوامر الَّتِي تحقق السعادة فِي الدارين.

وبِجانب هذه الأوامر فقد نَهى عن الشرك بِجميع صوره، والفحشاء والمنكر والبغي والظلم والفساد فِي الأرض، ونَهى عن القتل والسرقة والغش والخيانة وسوء الظن والغيبة والنميمة وشهادة الزور، وغير ذلك من المحرمات الَّتِي تكون سببًا فِي هلاك العبد وشقائه الدنيوي والأخروي، ثُمَّ لقد شهد بكماله وجودته بعض أئمة الكفر فقال: "إن له لحلاوة، وإنه عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه، مورق أسفله، وإنه ليعلو ولا يعلى عليه، وإنه ليحطم ما تحته".

وقديْمًا قيل:

شهد الأنام بفضله حَتَّى العدا ... والفضل ما شهدت به الأعداء

ورحم الله شيخنا[1] إذ قال فِي وصفه نظمًا:

هــو الكتاب الذي من قام يقرؤه كأنَّمــا خاطــب الرحْمن بالكلم
هو الصراط هو الحبل المتين هو الميزان والعـــروة الوثقـــى لمعتصـــم
هــو البــيان هــو الذكر الحكيم هو التفصيل فاقنع به فِي كل منبهم
هــو البصــائر والذكرى لمدكر هــو المواعظ والبشرى لغير عمي
هــو المــنَزل نــورًا بينًا وهدى وهو الشفاء لما فِي القلب من سقم
لكــنه لأولي الإيْمــان إذ عملوا بِمــا أتى فيه من علم ومن حكم
أما على من تولى عنه فهو عمى لكونه عن هداه المستنير عمــي

وبالتالي فلا غرابة ولا عجب أن يوصف هذا القرآن الكريم والذكر الحكيم بهذه الصفات الكاملة الحسنة؛ إذ هو من كلام ربنا الذي قال فيه: ﴿**وَلَوْ أَنَّمَا فِي الأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلاَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾ [لقمان:٢٧]. وأكد هذا المعنى بقوله الحق: ﴿**قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا**﴾ [الكهف:١٠٩].

فسبحان من أنزل هذا الكتاب فأحكمه وجعله معجزة قائمة دائمة، ولقد وقف أمامه أرباب الفصاحة والبلاغة حيارى مشدوهين من

---

(١) حافظ بن أحمد على الحكمي المتوفى عام ١٣٧٧هـ بِمكة المكرمة نور الله منْزله وأمطر عليه شآبيب الرحْمة والغفران، وهذه الأبيات من المنظومة الميمية تحت عنوان: "الوصية بكتاب الله".

جَمال تركيبه وحسن أسلوبه وبديع معانيه ودقة أحكامه وقوة حججه وسمو أهدافه ومقاصده: ﴿قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان:٦].

فاللهم يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام اجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا ونور صدورنا وجلاء أحزاننا وذهاب هُمومنا وغمومنا وذكرنا منه ما نسينا وعلمنا منه ما جهلنا وارزقنا تلاوته آناء الليل وأطراف النهار والعمل به على الوجه الذي يرضيك عنا يا كريم.

* * * * *

الأساس الرابع من أسس العقيدة الإسلامية

❊ الإيمان بالرسل:

بين يدي الموضوع:

إن الإنسان مكون من جسد وروح. فأما الجسد فأرضي ترابي فكان غذاؤه وجَميع احتياجاته مِمَّا يخرج من الأرض من مياه وزروع وحبوب وثمار وفواكه ومعادن وغيرها.

وأما الروح التِي هي نفخة الملك فِي الجسد فمخلوق علوي سماوي فكان غذاؤها الوحي الإلهي التشريعي الذي ينْزله الله على نبِي من أنبيائه أو رسول من رسله كي يبلغه أمته فتحيا به الأرواح وتستنير فِي طريقها إلَى الله واهب الحياة للأجساد والأرواح والدليل على هذا التكوين الباهر العظيم قول الله -عز شأنه-: ﴿**الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنسَانِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلاَلَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ**﴾ [السجدة:٧-٩].

لِهذا وغيره اصطفى العليم الحكيم من الملائكة رسلاً، ومن الناس ليكونوا وسطاء بينه وبين خلقه يبلغونَهم من وحيه وذكره ما به تحيا

أرواحهم وتزكو أنفسهم وتتحرر عقولُهم وأفكارهم ويصلهم بِخالقهم وبارئهم، حَتَّى يتم اللقاء الحسي والمعنوي بينه وبينهم فِي دار الكمال والقرار فِي جنات عدن، حيث يتمتعون بجوراه وسَماع كلامه وتسليمه والنظر إلَى وجهه بحسب اتصالِهم به فِي هذه الحياة.

إذن فالإيْمان بالرسل ركن من أركان الإيْمان وأساس متين من أسس العقيدة من أنكره فقد كفر، ومن كفر برسول واحد أو بنبي واحد فقط كفر بجميع الأنبياء والمرسلين.

والفرق بين الرسول والنَّبِي هو أن الرسول رجل من بني آدم أوحي إليه بشرع وأمر بتبليغه والنَّبِي من أوحي إليه ليجدد شريعةً قبله ويبين للناس وجه الصواب والخطأ مِمَّا اختلفوا فيه من أحكام تلك الشريعة، لذا قالوا: كل رسول نبِي وليس كل نبِي رسول[1].

وما من أمة من الأمم من لدن آدم أبِي البشر إلَى آخر الأمم أمة مُحَمَّد ﷺ إلا وبعث الله إليها رسولاً أو نبيًّا يدعوهم إلَى عبادة الله وحده ويحذرهم وينهاهم عن عبادة ما سواه كما قال سبحانه: ﴿**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ**﴾ [النحل:٣٦]. وقال أيضًا: ﴿**وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً**﴾ [الإسراء:١٥]. وقال أيضًا: ﴿**وَإِن**

---

(١) ذكر كثير من المؤلفين أن الفرق بين الرسول والنَّبِي، هو أن الرسول من أوحي إليه بشرع وأمر بتبليغه بينما النَّبِي من أوحي إليه، ولَم يؤمر بالتبليغ، وقد اقتنعت بالتعريف الذي كتبته إذ كل رسول وكل نبي مبلغ عن الله على تفاضل بينهم فِي الرتبة والفضل.

مِّنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلاَ فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر:٢٤]. وما ذلك إلا:

١- ليدعو الناس إلَى عبادة الله وحده، وهذه هي المهمة الكبرى والوظيفة العظمى الَّتِي أرسل من أجلها الرسل وأنزلت الكتب وشرع الجهاد فِي سبيل الله.

٢- ولكي يبلغوا رسالات الله إلَى البشر كافة كما وصفهم الله بقوله: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاَتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلاَ يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلاَّ اللَّهَ﴾ [الأحزاب:٣٩]. وهذه الآية وإن كانت عامة فِي أهل التبليغ لرسالات الله إلا أن الرسل يدخلون فيها دخولاً أوليًّا.

٣- وليكونوا قدوة صالحة للبشر فيقتدون بأقوالِهم وأفعالِهم ويستنون بسننهم ويهتدون بِهديهم؛ لأنَّهم أكمل البشر علمًا وعملاً وآدابًا وسلوكًا، وأعظمهم نصحًا وحكمة وإخلاصًا.

٤- ولئلا يبقى للناس حجة بعد الرسل كما قال سبحانه: ﴿رُسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء:١٦٥].

وممَّا لا شك فيه أن الأنبياء والرسل من البشر بل من خيرة البشر فهم يحتاجون إلى ما يحتاج إليه سائر البشر من الأكل والشرب واللباس والسكن والزواج، كما يعتريهم من الضعف والعوارض ما يعتري بقية البشر فيعتريهم الضعف والشيخوخة والمرض والفقر والموت. بيد أنَّهم يَمتازون عن سائر البشر بصفات عظيمة لا تتوفر على سبيل الكمال إلا

فيهم منها:

١- الصدق.

٢- الأمانة.

٣- التبليغ.

٤- الخلق.

٥- السلامة من العيوب الخلقيَّة والخُلُقية.

٦- العصمة من الوقوع فِي الخطأ المتعمد.

٧- الصبر.

وهذه الصفات وإن كان سائر البشر مطالبون بِها فِي شريعة من الشرائع وقد تتوفر فِي بعضهم ما عدا العصمة والعيوب إلا أنَّها لا تتوفر فِي ذلك البعض كما توفرت فِي أنبياء الله ورسله. ورغم جلالة قدر الأنبياء والرسل وتكريم الله لَهم بالنبوة والرسالة وشهادته لَهم بالصدق والعفاف والنصح والأمانة، ورغم تشريفه لَهم بالقرب منه والوساطة بينه وبين خلقه فِي تبليغ الشرائع وغير ذلك كثير، إلا أنَّهم لا يستحقون من صفات الإلهية أو الربوبية شيئًا، وحاشاهم ثُمَّ حاشاهم أن يدعوا لأنفسهم شيئًا من ذلك أو يرضوا عمن يعتقد فيهم القدرة على ما لا يقدر عليه إلا الله أو يرفعهم فوق منْزلتهم الَّتِي حددها لَهم ربُّهم وارتضاها لَهم وقد قال لأفضلهم وخاتمهم مُحَمَّد ﷺ: ﴿**قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ**

مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ [الكهف:١١٠].

❊ ما يقتضيه الإيمان بالرسل:

يقتضي الإيْمان بالرسل أمورًا عدة منها:

١- الإيْمان بأن رسالتهم حق وصدق فيجب الإيْمان بها والتصديق لَها كما أراد الله من عباده إذ قال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُوْلَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء:١٥٢]. وقال سبحانه: ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلاَ تَقُولُوا ثَلاَثَةٌ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً﴾ [النساء:١٧١].

ومن أنكر رسالتهم أو رسالة بعضهم فقد كفر بكل ما تَحمله كلمة الكفر من معنَى كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً ﴿١٥٠﴾ أُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [النساء:١٥٠-١٥١].

فالآيات صريحة فِي الحكم على من أنكر رسالات المرسلين أو صدق ببعض الرسالات وأنكر البعض فإنه كافر بنص القرآن الكريم. وبِهذا الاعتبار الحق فإن أهل الكتابين اليهود والنصارى ومن استن بسنتهم ممن كفروا برسالة النَّبِي مُحَمَّد ﷺ بدعوى اتباع موسى أو عيسى كفار، إذ أن دعواهم تلك باطلة وقد قال الله لنبيه: ﴿قُلْ يَأَيُّهَا

النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف:١٥٨]. وقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ:٢٨].

فالآيتان وما فِي معناهما تدل على شُمول رسالة النَّبِي ﷺ لكافة البشر على اختلاف أجناسهم وتباين لغاتِهم ويؤكد هذا الشمول قول النَّبِي ﷺ: «**والله لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثُمَّ يموت ولَم يؤمن بالذي جئت به إلا كان من أصحاب النار**»(١).

٢- ومنها الإيْمان بِمَن علمنا اسمه منهم، وقد ذُكِرَ فِي القرآن خَمسة وعشرون وهم آدم، نوح، إبراهيم، إسماعيل، إسحاق، يعقوب، داود، سليمان، أيوب، يوسف، موسى، هارون، زكريا، يحيى، إدريس، يونس، هود، شعيب، صالح، لوط، إلياس، اليسع، ذو الكفل، عيسى، مُحَمَّد -صلى الله وسلم عليهم أجْمعين-.

وقد جَمعهم الشاعر فِي هذين البيتين:

فِي تلك حجتنا منهم ثَمانيـــة ... من بعد عشر ويبقى سبعة وهم

إدريس هود شعيب صالح وكذا ... ذو الكفل آدم بالمختار قد ختموا

فهؤلاء الأنبياء والرسل يجب الإيْمان بِهم تفصيلاً بِمعنى أنه يتعين علينا التصديق برسالاتِهم، بأشخاصهم، وأسْمائهم إذ أنَّهم ذكروا فِي

---

(١) رواه الإمام مسلم فِي صحيحه فِي كتاب الإيْمان، باب وجوب الإيْمان برسالة النَّبِي ﷺ عن أبِي هريرة رضي الله عنه (ج١/رقم ١٥٣/ص١٣٤).

القرآن الكريم على أساس التفصيل، أما بقية الأنبياء والرسل فيجب الإيْمان بِهم جُملة وذلك بأن نصدق بأن هناك أنبياء ورسلاً غير هؤلاء المذكورين أخبر عنهم ربُّهم بقوله الحق: ﴿**وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ**﴾ [النساء:١٦٤].

قال ابن كثير -رحِمه الله- فِي تفسير هذه الآية: "وقد اختلف فِي عدد الأنبياء والمرسلين، والمشهور فِي ذلك حديث أبِي ذر الطويل وذلك فيما رواه ابن مردويه -رحِمه الله- فِي تفسيره عن أبِي ذر قال: قلت: «يا رسول الله كم الأنبياء؟. قال: **مائة ألف وأربعة وعشرون ألفًا**. قلت: يا رسول الله كم الرسل منهم؟ قال: **ثلثمائة وثلاثة عشر جم غفير**. قلت: يا رسول من كان أولُهم؟ قال: **آدم**. قلت: يا رسول الله نبي مرسل؟ قال: **نعم خلقه الله بيده، ثُمَّ نفخ فيه من روحه ثُمَّ سواه قبيلاً**».

إلَى أن قال ابن كثير -رحِمه الله-: وقد روي هذا الحديث من وجه آخر عن صحابِي آخر، فقال ابن أبِي حاتم عن أبِي أمامة قال: قلت: «يا نبي الله كم الأنبياء. قال: **مائة ألف وأربعة وعشرون ألفًا، والرسل من ذلك ثلثمائة وخَمسة عشر جَمًّا غفيرًا**».

٣- ومنها إلزام كل أمة بالعمل بالشريعة الَّتِي جاء بِها نبيها إذ أن كل أمة مطالبة بالطاعة والمتابعة لنبيها، ونحن أمة مُحَمَّد ﷺ مطالبون بالعمل بشريعته السمحة الَّتِي ختمت بِها جَميع الشرائع السماوية ولا يسع أحد الخروج عنها أيًّا كان لسانه أو لونه أو جنسه، قال تعالى:

﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر:٧].

وبِمناسبة ختم الشرائع السابقة بالشريعة المحمدية الخالدة أحب أن أتحدث بإيجاز عن سماحة هذه الشريعة العظيمة وعن صاحبها خاتم الأنبياء والمرسلين مُحَمَّد ابن عبد الله الصادق الأمين.

فأقول: إن هذه الشريعة الإسلامية جاءت من لدن حكيم خبير تحمل اليسر والسهولة والأمن والاطمئنان والسعادة فِي الدارين لعالَم الإنس والجن، وترفع الأغلال والآصار الَّتِي كانت على الأمم الماضية فِي الشرائع السابقة حكمة من الله ورحْمة.

جاءت هذه الشريعة فحررت الإنسان كل الإنسان، حررت قلبه وعقله وجوارحه من الذل والخضوع لمخلوق مثله أيًّا كان نوعه، وأمرته أن يتوجه بكل عبادة مالية أو بدنية لله الخالق المحيي المميت الذي بيده الأمر كله وإليه يرجع الأمر كله.

والمعلوم لكل مسلم أن هذه الشريعة البيضاء النقية جاءت والدماء تسفك ظلمًا وعدوانًا والأعراض تنتهك زورًا وبُهتانًا والأموال تنتهب جورًا وطغيانًا، والعقول تغتال فخرًا وجهلاً وعصيانًا، وفلذات الأكباد تؤد خشية الفقر والعار سفهًا وخذلانًا.

فحقنت الدماء وصانت الأعراض وحَمت الأموال وحفظت العقول، ومن أراد برهانًا على ذلك فليسمع إلَى قول النَّبِي الحق وهو

ينادي: «إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فِي شهركم هذا فِي بلدكم هذا»[1].

حقًّا لقد جاءت هذه الشريعة الغراء والمحجة السنية البيضاء والناس لا يعرفون لَهم غاية صحيحة يسعون لتحقيقها ولَم يفهموا طريقًا مستقيمًا يوصلهم إلَى بر السلامة ومقام النجاة، فعرفتهم بغاياتِهم الَّتي خلقوا لتحقيقها وأرتْهم طريق الحق الَّتي توصلهم إلَى رضا ربِّهم وإلَى دار كرامته ألا وهي جنته الَّتي أعد فيها لأوليائه من المآكل والمشارب والمساكن والزوجات الحسان والخدم والغلمان والملك الكبير ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب أحد من البشر، نعم لقد جاءت هذه الشريعة الجليلة القدر العظيمة الشأن تدعو بنِي الإنسان إلَى فعل الخير وترغبهم فيه، وتعد عليه جزيل الأجر والثواب فِي الحياة الدنيا وفِي الآخرة، وتنهى عن الشر بحذافيره، وتحذر منه أشد التحذير وتنذر الناس من مغبته وتتوعد فاعله بالخزي الدنيوي والعذاب الأخروي.

حقًّا لقد أوضحت هذه الشريعة السماوية الحقة للإنس والجن، والحلال والحرام والحق والباطل والهدى والرشاد بكل صراحة ووضوح فمن اهتدى فإنَّما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنَّما يضل عليها، وبالتالي

---

(١) رواه البخاري فِي كتاب العلم باب قول النَّبِي ﷺ: «**رب مبلغ أوعى من سامع**». (ص٢٤) عن عبد الرحمن بن أبِي بكرة عن أبيه، ورواه أبو داود فِي سننه، كتاب المناسك، باب الأشهر الحرم عن أبِي بكرة رقم (١٤٦٦).

فشريعة هذا شأنُها وتلك أهدافها ومبادئها وغاياتُها لجدير بالمكلفين بِها أن يعتزوا بِمبادئها وأهدافها ويتشرفوا باتباعها والتمسك بِها علمًا وعملاً، وأن يعضوا عليها بالنواجذ كي يعيشوا فِي ظلالِها آمنين وفِي سبيل إحيائها مُجاهدين، ولأعدائها مُحاربين، وعنها بأقوى الأسلحة ذابين فِي كل وقت وحين.

وأما الحديث عمن جاء بِها من عند الله ودعا الثقلين بأمر ربه إلَى التمسك بِها والعمل بِمقتضاها فقُل عنه ما شئت من علم وحلم وصدق ونصح وشجاعة وأمانة وفطانة وفصاحة ورأفة ورحْمة وثبات وجهاد ودعوة وقيادة، وغير ذلك من الصفات الحميدة والأخلاق الفاضلة الجليلة، ولا غرابة أن يوصف النَّبِي الكريم بِهذه الصفات وغيرها من صفات الكمال كالعبودية والنبوة والرسالة فإن الله قد أحاطه برعايته قبل البعثة وبعدها كما هو معروف فِي تاريخ حياته المباركة وسيرته الطاهرة المضيئة.

وحيث إن لكل موضع فوائده وثَمراته، فإن ثَمرات الإيْمان بالرسل كثيرة، نذكر منها ما يلي:

١- العلم القطعي برحْمة العزيز الرحيم حيث لَم يكل عباده إلَى عقولِهم وفطرهم فقط بل أرسل إليهم رسلاً كرامًا يهدونَهم بوحي من عنده إلَى طريق الحق وإلَى صراط مستقيم ويبينون لَهم كيف يعبدون الله فيحوزوا ثوابه ورضاه فِي جنات النعيم وينجو من غضب الله وعذابه الأليم.

٢- اعتبار رسالاتِهم نعمة كبرى ومنة عظمى أسداها الغني الحميد على عباده الضعفاء الفقراء ليذكروه ذكرًا مباركًا كثيرًا، ويشكروه آناء الليل والنهار بكرة وأصيلاً.

٣- محبة أولئك الرسل أجْمعين وتعظيمهم فِي حدود ما يليق بِهم لأنَّهم رسل الله وأولياؤه ولأنَّهم صفوة البشر وأزكاهم وأتقاهم، لما خصهم الله به من رسالاته وكلامه؛ ولأنَّهم أنصح الخلق للخلق كما ورد فِي قصصهم الذي يعتبر جانبًا عظيمًا من الجوانب الَّتِي جاء لإيضاحها القرآن: ﴿**لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُوْلِي الأَلْبَابِ**﴾ [يوسف:١١١].

* * * * *

الأساس الخامس من أسس العقيدة الإسلامية

❊ الإيمان باليوم الآخر:

وقبل الحديث عن هذا الأساس المتين والركن المهم العظيم أحب أن أقول كلمة قصيرة بين يديه لما لَها من العلاقة به، فأقول مستعينًا بالله:

قضى الله العليم الحكيم والرب الخالق العظيم أن يَخلق دارين، دار الدنيا ودار الآخرة فجعل سبحانه الأولَى دار عمل، وجعل الثانية دار جزاء[1]، وقد كلف سبحانه الإنس والجن بتكاليف تتجلى في الأوامر والنواهي، وعلى أساسها يكون الجزاء يوم القيامة: ﴿**فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ**﴾ [الزلزلة:٧-٨].

حقًّا أيها القارئ الكريم والمستمع العاقل الحليم، إن الله الذي خلقك من نطفة من ماء مهين خرج من بين الصلب والترائب ثُمَّ حفظك فِي بطن أمك فِي تلك الأطوار المتعاقبة المشار إليها فِي قوله سبحانه: ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ۝١٢ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝١٣ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ**﴾ [المؤمنون:١٢-١٤].

---

(١) ودار البرزخ هي الحاجز بينهما.

نعم إن الله الذي أتقن هذا الصنع هو الذي حباك بنعم لا تعد ولا تحصى، كما قال ﷻ: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لاَ تُحْصُوهَا﴾ [إبراهيم:٣٤]. ولكن الإنسان لا يفقه معنَى هذه النعمة إلا إذا هداه الله ففكر في نفسه وفيما بين يديه وما حوله وما بلغ إلَى علمه مِمَّا ينبغي التفكير فيه كنعمة الحواس، مثل حاسة السمع والبصر والفؤاد والشم والذوق، وهناك نعمة الأعضاء المتحركة، وهناك مِمَّا لا يدخل تحت الحصر مِمَّا لا تحيط به العقول أو تسطره الأقلام.

وأجلُّ نعم الله على الإطلاق نعمة الرسالة والنبوة الَّتِي أنعم الله بِها على الأمم فِي الأرض: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلاَ فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر:٢٤].

فمن الخلق من شكر تلك النعمة فقبل ما جاء به الأنبياء والرسل باطنًا وظاهرًا فامتثل الأوامر واجتنب النواهي فعاش فِي هذه الدنيا قوي القلب، قرير العين بإيْمانه الصادق الصحيح فِي ظل شريعة الله القائمة العادلة مستثمرًا أوقاته فِي ليله ونَهاره طيلة حياته فيما يرضي ربه عنه حَتَّى يوافيه الأجل وهو محب للقاء الله وقد تلقى البشرى من ملائكة الله: ﴿أَلاَّ تَخَافُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلَيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلاً مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ [فصلت:٣٠-٣٢].

فجعل الله قبره روضة من رياض الجنة وفسح له فيه مد البصر، كما هو ثابت فِي الأحاديث الصحيحة الواردة فِي الحياة البرزخية، حَتَّى إذا

وقعت الواقعة وحقت الحاقة، وجاءت الصاخة، وقام الناس لرب العالمين وانقسموا إلَى فريقين، سعداء وأشقياء، كان ذلك الشاكر من السعداء الذين يقال لَهم: ادخلوا الجنة لا خوف عليكم، ولا أنتم تحزنون، فيدخل دار النعيم المقيم، دار الكمال والصحة والجمال، دار السرور والبهجة والحبور يتمتع بِمآكلها الشهية ومشاربِها الصافية النقية، وقصورها العالية المتلألئة البهية وخيراتِها الحسان اللاتِي أنشأهن إنشاء رب البرية وغير ذلك مِمَّا لا عين رأت ولا أذن سَمعت ولا خطر على قلب بشر.

وفوق ذلك إنْجاز الوعد الربانِي الكريم بالنظر إلَى وجهه العلي العظيم، الذي ينسي كل لذة ونعيم، فاللهم لا تحرمنا خير ما عندك من الفضل والإحسان بشر ما عندنا من التقصير والعصيان.

ومنهم من كفر بتلك النعمة الدينية والدنيوية حيث أعرض عما جاء به الأنبياء والمرسلون واشترى الضلالة بالهدى، واختار لنفسه طريق الهلاك والشقاء والردى، فإنه يعيش فِي هذه الحياة الدنيا عيشة معقدة ضنكًا ويحشر إلَى ربه يوم القيامة أعمى فيقول: رب لَم حشرتنِي أعمى وقد كنت بصيرًا، قال: كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى.

نعم يعيش عيشة بَهيمية ليس له هدف صحيح ولا غاية حَميدة، بل همه كله تحقيق رغبات نفسه الأمارة بالسوء من أكلة لذيذة، وشهوة جسدية جامحة وجمع مال عريض وهوى متبع معبود، فما جزاء من هذا شأنه وتلك مقاصده إلا كما قيل:

يجزى جحيمًا دائمًا يتقد يهبط تارة وأخرى يصعد

وحينما يتلطفون قائلين لخزنة جهنم: ادعوا ربكم يخفف عنا يومًا من العذاب، يُجيبونَهم على سبيل التوبيخ والتقريع: ﴿**أَوَ لَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلاَلٍ**﴾ [غافر:٥٠]. فنعوذ بالله من سوء الحال والمنقلب والمصير.

وبعد: فما المراد باليوم الآخر، وما وجه تسميته بذلك، وما حكم الإيْمان به، وبِما يقع فيه، وما حكم من أنكره، وما أدلة ثبوته؟

والجواب:

- أما المراد باليوم الآخر: فهو يوم القيامة الذي يبعث الله فيه الخلق أجْمعين الأولين والآخرين للجزاء على أعمالِهم فمن وجد خيرًا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه ولا يظلم ربك أحدًا، وأما وجه تسميته بذلك فلأنه لا يوم بعده، إذ يستقر السعداء فِي منازِلهم فِي دار النعيم المقيم فِي جوار الرب الرحيم، ويستقر الأشقياء فِي منازِلهم فِي دار الجحيم، يأكلون من الضريع ويشربون من الحميم.

- وأما حكم الإيْمان به فهو واجب لأنه ركن من أركان الإيْمان، ومن أنكره أو أنكر شيئًا مِمَّا سيكون فيه من الجنة والنار والجزاء على الأعمال والمرور على الصراط والميزان وتطاير الصحف فِي الأيدي، والحوض والشفاعة، وغير ذلك مِمَّا هو معلوم من الشرع بالضرورة فقد

ضل سواء السبيل، قال الله ﷻ: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن:٧]. وقال سبحانه: ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون:١٥-١٦]. وقال -تبارك وتعالى- إخبارًا عن أولئك المنكرين: ﴿وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾ [الإسراء:٤٩-٥١]. وقال عنهم كذلك: ﴿وَقَالُوا إِنْ هَذَا إِلاَّ سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَ آبَاؤُنَا الأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَاخِرُونَ ﴿١٨﴾ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ﴾ [الصافات:١٥-١٩]. وغير ذلك كثير.

وأما أدلة السنة فمنها: قوله ﷺ في الصحيحين: «**يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً**»(١).

وأما الإجْماع: فقد أجْمع المسلمون قاطبة على مجيئه ووقوعه وثبوت ما سيكون فيه، إذ أن الله قضى أن يكون للخليقة أولاها وأخراها معادًا يردون إليه، ويُجازون على ما كلفوا به على ألسنة رسل الله الذين

---

(١) رواه البخاري في صحيحه بلفظ: «**إنكم محشورون**». في كتاب التفسير، تفسير سورة الأنبياء (باب٢/ج٥/ص٢٤٠)، ورواه الدارمي في سننه باب صفة الحشر عن ابن عباس بمعناه (ج٢/ص٣٢٦).

جاءوا بالحق وبه كانوا يعملون وفِي سبيله يُجاهدون.

ومِمَّا هو جدير بالعلم واليقين أن تكليف الخليقة بالأوامر والنواهي من غير أن يترتب على ذلك جزاء ضرب من العبث الذي يتنَزه عنه رب العزة والجلال القائل فِي مُحكم تنْزيله: ﴿**أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لاَ تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ**﴾ [المؤمنون:١١٥-١١٦].

ومن ثَمرات الإيْمان بِهذا الأساس ما يأتِي:

أ- الإقبال على فعل الخيرات والحرص على كسب الحسنات من أقوال وأفعال ومعتقدات، وما ذلك الإقبال إلا لأن فاعلها يرجو ثوابَها الذي وعد به فِي مُحكم التنْزيل وصحيح السنة المطهرة.

ب- الكف عن المعاصي أقوالِها وأفعالِها باطنها وظاهرها، إذ أن اقترافها سبب فِي عقوبة الله الَّتِي توعد بِها العصاة الذين تعدوا حدوده وأضاعوا فرائضه وأعرضوا عما جاء به المرسلون، المشتمل على الأمر بكل بر وفضيلة والنهي عن كل شر ورذيلة.

* * * * *

الأساس السادس من أسس العقيدة الإسلامية

❊ الإيمان بالقدر:

المراد بالقدر فِي اصطلاح علماء فن التوحيد: هو تقدير الله تبارك وتعالى لِجميع الكائنات علويها وسفليها، كلياتِها وجزئياتِها، ناطقها وصامتها متحركها وساكنها كما سبق بذلك علمه المحيط ووافقته حكمته الكاملة ومشيئته الشاملة النافذة.

قال النووي -رحِمه الله-: إن الله تبارك وتعالى قدر الأشياء فِي القدم وعلم سبحانه أنَّها ستقع فِي أوقات معلومة عنده وعلى صفات مَخصوصة فهي تقع حسب ما قدرها.

وأدلة القدر وردت كثيرة فِي الكتاب العزيز والسنة المطهرة لا ينكرها إلا كافر ولا يؤولها على غير تأويلها إلا جاهل.

منها قوله ﷻ: ﴿**إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ**﴾ [القمر:٤٩]. وقوله ﷻ: ﴿**وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا**﴾ [الفرقان:٢]. وقوله -جل وعلا-: ﴿**وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ**﴾ [الرعد:٨].

ومن السنة ما ثبت فِي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سَمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله كتب مقادير**

الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بِخمسين ألف سنة»[١].

وما رواه البخاري ومسلم عن علي بن أبِي طالب ﷺ أن النَّبِي ﷺ قال: «**وما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من النار أو الجنة**. فقال رجل من القوم: ألا نتكل يا رسول الله؟ قال: **لا، اعملوا فكل ميسر لما خلق له**». ثُمَّ قرأ ﴿**فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى**﴾ [الليل:٥-٧].

وجاء فِي صحيح مسلم أيضًا عن أبِي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**المؤمن القوي خير وأحب إلَى الله من المؤمن الضعيف، وفِي كل خير، احرص على ما ينفعك ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أنِّي فعلت كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل؛ فإن لو تفتح عمل الشيطان**».

ومن هذه النصوص الصريحة يتضح للمؤمن الصادق فِي إيْمانه بأن كل تحركات المخلوقات الاختيارية وغير الاختيارية لا تخرج عن إرادة الله -تبارك وتعالى- بل كل ما يقع فِي العالم العلوي والسفلي من إحياء وإماتة وصحة وسقم وفقر وغنى وخوف وأمن وطول عمر وقصره، ونزول أجل ووقته ومكانه وسببه وشقاوة وسعادة ورخاء وشدة وعسر ويسر وكفر وإيْمان وخير وشر، كل ذلك بتقدير الله الأزلي الذي سطره

---

(١) رواه مسلم فِي كتاب القدر عن عبد الله بن عمرو بن العاص (ج١٦/٢٠٣/المجلد ٨ نووي).

القلم الذي خلقه الله وقال له: «**اكتب، فكتب مقادير كل شيء إلَى أن تقوم الساعة**». فما من أمر من الأمور ولا حدث من الأحداث إلا وقد جرى به القلم فِي تلك الساعة إلَى قيام الساعة، وإلَى أن تستقر الخلائق فِي منازِلها وتنال ما كتب لَها أو عليها، ولا يلزم من ذلك التقدير أن يتكل العباد على ما كتب لَهم أو عليهم ويتركوا العمل، فذلك عجز وانحراف عن توجيهات القرآن الكريم ووصية الرسول الصادق الأمين، فلابد إذن من الجد والاجتهاد فِي فعل الطاعات وترك السيئات، فإن ذلك موجب لرضا رب الأرض والسموات، وسبب متين فِي دخول الجنات وتبوء منازلها العاليات البهيات.

ولقد جاء فِي الحديث الذي رواه الإمام أحمد وغيره عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه قال للنبِي ﷺ: «أرأيت ما يعمل فيه قد فرغ منه أو أمر مبتدأ؟ قال: **فيما قد فرغ منه**. فقال عمر ﷺ: أفلا نتكل؟ فقال: **اعمل يا ابن الخطاب؛ فكل ميسر لما خلق، فمن كان من أهل السعادة يعمل للسعادة، ومن كان من أهل الشقاء يعمل للشقاء**».

وفِي رواية: قال عمر: «الآن نجتهد يا رسول الله»[1].

وقد ذكر الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي فِي كتابه "معارج القبول" أن للإيْمان بالقدر مراتب:

---

(١) رواه الترمذي فِي كتاب القدر باب٣ باب: ما جاء فِي الشقاء والسعادة (٤/٤٤٥ /حديث٢١٣٥) عن عمر بن الخطاب ﷺ.

❊ **المرتبة الأولَى**: الإيْمان بعلم الله المحيط بكل شيء من الموجودات والمعدومات والممكنات والمستحيلات، فعلم ما كان وما يكون وما لَم يكن ولو كان كيف يكون، وأنه عالم ما الخلق عاملون قبل أن يَخلقهم، وعلم أرزاقهم وآجالَهم وأحوالَهم وأعمالَهم وجَميع حركاتِهم وسكناتِهم وشقاوتِهم وسعادتِهم ومن هو منهم من أهل الجنة ومن هو منهم من أهل النار قبل أن يخلقهم، ومن قبل أن يخلق الجنة والنار، علم قليل ذلك وكثيره، ظاهره وباطنه، وسره وعلانيته، ومبدأه ومنتهاه كما قال سبحانه: ﴿**هُوَ اللَّهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ**﴾ [الحشر:٢٢].

❊ **المرتبة الثانية**: الإيْمان بكتاب الله تعالى الذي لَم يفرط فيه من شيء كما قال تعالى: ﴿**وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ**﴾ [يس:١٢].

وفِي مسند الإمام أحمد من حديث عمرو بن العاص ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: خرج رسول الله ﷺ وفِي يده كتابان فقال: «**أتدرون ما هذان الكتابان؟**. قال: قلنا: إلا أن تخبرنا يا رسول الله، فقال للذي فِي يده اليمنى: **هذا كتاب من رب العالمين -تبارك وتعالى- بأسْماء أهل الجنة وأسْماء آبائهم وقبائلهم ثُمَّ أجْمل على آخرهم فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبدًا. ثُمَّ** قال للذي فِي يساره: **هذا كتاب أهل النار بأسْمائهم وأسْماء آبائهم وقبائلهم ثُمَّ أجْمل على آخرهم فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم.** فقال أصحاب رسول الله ﷺ: فلأي شيء إذن نعمل إن كان هذا أمر قد فرغ

منه؟ قال رسول الله ﷺ: **سددوا وقاربوا، فإن صاحب الجنة يختم بعمل أهل الجنة، وإن صاحب النار ليختم بعمل أهل النار، وإن عمل أي عمل.** ثُمَّ قال بيده فقبضها ثُمَّ قال: **قد فرغ ربكم ﷻ من العباد.** ثُمَّ قال باليمنى فنبذها فقال: **فريق فِي الجنة.** ونبذ باليسرى فقال: **فريق فِي السعير**». رواه الترمذي بنحوه، وقال: حديث حسن صحيح غريب[1].

* **المرتبة الثالثة:** الإيْمان بِمشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة فما شاء الله تعالى كونه فهو كائن بقدرته لا محالة: ﴿**إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ**﴾ [يس:٨٢].

وما لَم يشأ لَم يكن لعدم مشيئة الله تعالى إياه لا لعدم قدرته عليه: ﴿**وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا**﴾ [فاطر:٤٤].

* **المرتبة الرابعة:** مرتبة الخلق وهو الإيْمان أن الله خالق كل شيء فهو خالق كل عامل وعمله وكل متحرك وحركته وكل ساكن وسكونه وما من ذرة فِي السموات والأرض إلا والله خالقها وخالق حركتها وسكونِها لا خالق غيره ولا رب سواه[2].

---

(١) رواه الترمذي فِي كتاب القدر باب٨ باب: ما جاء أن الله كتب كتابًا لأهل الجنة وأهل النار، عن عبد الله بن عمرو بن العاص (ج٤/رقم٢١٤١)، ورواه الإمام أحمد (ج٢/ص ١٦٧) عن عبد الله ابن عمر.

(٢) انظر: "معارج القبول" للعلامة حافظ الحكمي -رحِمه الله- (ج٢/باب الإيْمان بالقدر).

قلت: ولا يفهم مِمَّا سبق ذكره أن العباد لا قدرة لَهم ولا مشيئة ولا اختيار، بل لَهم قدرة ومشيئة واختيار تابعة لمشيئة الله وقدرته: ﴿**وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ**﴾ [التكوير:٢٩]. وتلك القدرة والمشيئة والاختيار يتمكنون بِها من مزاولة الأعمال على اختلاف أنواعها، أقوالِها وأفعالها، خيرها وشرها، سرها وجهرها وعلى هذا الأساس يكون الجزاء على الأعمال من جنسها: ﴿**فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ**﴾ [الزلزلة:٧-٨]. ﴿**إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لاَ يَمُوتُ فِيهَا وَلاَ يَحْيَى ۝٧٤ وَمَن يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُوْلَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى**﴾ [طه:٧٤-٧٥].

وبالتالي فمذهب أهل السنة والجماعة ومذهب كل مؤمن صادق الإيْمان بربه وبالقدر خيره وشره على مراد الله ومراد رسوله ﷺ هو الاعتقاد الجازم بأن أعمال العباد كلها خيرها وشرها فعلاً وعملاً مخلوقة لله لقوله -عز شأنه-: ﴿**وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ**﴾ [الصافات:٩٦].

وعليه فنسبتها إليه سبحانه خلقًا وتقديرًا ولا يضاف إِلَى الله الشر لا فعلاً ولا أمرًا ولا رضا ونسبة الأعمال إِلَى المكلفين كسبًا وعملاً وقد أعطاهم قدرة ومشيئة تابعة لمشيئته سبحانه، وربنا يحكم ما يريد لا يسأل عما يفعل، والمكلفون هم المسئولون، وهذا الاعتقاد الحق هو مقتضى ما دلت عليه النصوص الصريحة من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ فـ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلاَ أَنْ هَدَانَا اللَّهُ**﴾ [الأعراف:٤٣].

ومن هنا يعلم مدى ضلال الطائفة الجبرية وأتباعها ممن وسوس لَهم الشيطان وجرهم تفكيرهم الخاطئ إلَى اتِّهام ربِّهم الخالق الرازق البر الرحيم بأنه أجبر العباد على فعل المعصية ثُمَّ هو يُعَذِّبُهم عليها ظلمًا منه لَهم[1]، وحاشا الله أن يظلم أحدًا من خلقه، فقد نزه نفسه عن ذلك فِي قوله الحق: ﴿**وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ**﴾ [فصلت:٤٦].

وبقوله فِي الحديث القدسي: «**يا عبادي إنِّي حرمت الظلم على نفسي وجعلته مُحرمًا بينكم فلا تظالَمُوا**»[2].

بل نزه نفسه سبحانه عن إرادة الظلم فقال -جل وعلا-: ﴿**وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ**﴾ [آل عمران:١٠٨]. وقال أيضًا: ﴿**مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا**﴾ [النساء:١٤٧].

كما يعلم مدى ضلال الطائفة القدرية مَجوس هذه الأمة المتناقضون فِي أقوالِهم بالنسبة لعلم الله المحيط بكل شيء، فلا يعزب عنه مثقال ذرة فِي الأرض ولا فِي السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر.

فقد قال جَماعة منهم: إن الله يعلم الكليات دون الجزئيات.

وقال جَماعة آخرون: إنه لا يعلم شيئًا لا الكليات ولا الجزئيات، ما قدروا الله حق قدره، تعالى الله وتقدس عن قولِهم الباطل واعتقادهم

---

(١) هذا لازم قولهم إذ لَم يقولوا ذلك صراحة.

(٢) رواه مسلم (ج١٦/ بشرح النووي فِي كتاب البر والصلة/ باب تحريم الظلم/ص١٣٢).

الفاسد علوًّا كبيرًا.

وأما بالنسبة لاعتقادهم فِي أفعال الله فهم متناقضون أيضًا حيث تقول طائفة منهم: إن أفعال العباد ليست مخلوقة لله ولا مقدرة له سواءً منها الخيرية والشرية، وتقول طائفة منهم أخرى إن أفعال الخير الصادرة من العباد مخلوقة لله ومقدرة له، بخلاف أفعال الشر بِجميع صفاتِها وأنواعها فإنَّها ليست مَخلوقة لله ولا مقدرة له، وسبب هذا الاختلاف هو جهلهم بصفات ربِّهم ذات الكمال المطلق وتقليدهم الأعمى لمن حادوا عن جادة الحق.

والصواب فِي هذا الباب -ولا حول ولا قوة إلا بالله-: ولقد هدى الله أهل السنة والجماعة سلف هذه الأمة وأتباعهم الذين ساروا على نَهجهم فسلكوا جَميعًا طريق الحق فِي هذا الباب وغيره بإذن الله الذي كتب لَهم السلامة من الزيغ، والبراءة من الضلال والانحراف، وأحياهم حياة السعداء، حياة مباركة طيبة رحْمة من ربِّهم وفضلاً، بينما عاش خصومهم ومُخالفوهم عيشة القلق والحيرة والاضطراب حكمة من الله وعدلاً ﴿**لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ**﴾ [الأنبياء:٢٣].

ومن ثَمرات الإيْمان بالقدر خيره وشره حلوه ومره ما يأتِي:

أ- الاعتماد على الله فِي كل شيء من الشئون وتفويض جَميع الأمور إليه؛ لأنه واهب الحياة وقاضي الحاجات ومفرج الكربات ومسبغ النعم ودافع النقم، وصدق الله: ﴿**وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ**

هُوَ﴾ [الأنعام:١٧].

ب- الابتعاد والحذر من الوقوع فِي داء العجب عندما يحصل الإنسان على مراده من حاجات الدين والدنيا، وليشعر نفسه أن حصول كل محبوب ودفع كل مكروه إنَّما هو نعمة ربانية مقدرة من حكيم خبير فليحمد الله عليها.

ج- التحلي بالراحة النفسية والرضا والتسليم لما تجري به الأقدار الإلهية: ﴿**إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ**﴾ [القمر:٤٩]. ﴿**وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا**﴾ [الفرقان:٢]. ﴿**وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ**﴾ [الرعد:٨].

* * * * *

الباب الثاني
في أهـداف العقيدة الإســلاميــة

وبعد الحديث عن أسس العقيدة الإسلامية يطيب لِي أن أذكر بعضًا من أهدافها النبيلة ومقاصدها الحسنة، فأقول مستمدًا العون من الله:

❊ الهدف الأول من أهداف العقيدة الإسلامية:

تحرير الإنسان من رق الذل والخضوع لمخلوق مثله عاجز ضعيف لا يَملك لنفسه ضرًّا ولا نفعًا ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا، وما ذلك إلا لأنه إما أن يكون جَمادًا صامتًا شجرًا أو خشبًا منحوتًا أو حجرًا، وإما أن يكون نَجمًا فِي السماء أو شَمسًا أو قمرًا أو قبرًا مشرفًا أو ضريحًا مزخرفًا معظمًا وموقرًا، وإما أن يكون ذلك المعبود كاهنًا أو منجمًا ساحرًا فاجرًا أو يكون هوى متبعًا وهو أضر شيء فِي نفوس الورى كما قال ﷻ: ﴿**أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ**﴾ [الجاثية:٢٣].

وإن تعجب أيها القارئ الكريم فعجب فعل النفوس البشرية المريضة حينما تنقاد لشيطانِها وهواها وتتخذهما وتقيمهما لَها إلهًا وتترك الأصل

الأصيل: عبادة الإله الحق الذي انفرد بالخلق والرزق والهدى والتدبير بدون شريك ولا معين ولا ظهير، قال تعالى: ﴿**قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللهِ لاَ يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ**﴾ [سبأ:٢٢].

وللناس فِي عبادة الهوى مذاهب شتى:

فمنهم: من يعبد الأشخاص يرجو نفعهم أو يخاف بطشهم ومكرهم وعندئذ يطيعهم فِي تحليل الحرام أو تحريم الحلال أو نصرة الباطل وأهله وغمط الحق وذويه أو المجاملات والمصانعات على حساب الدين. الأمر الذي لا يرتضيه الله ولا الصالحون من عباد الله.

ولن نبعد عن الحق والحقيقة إذا قلنا إن هذا الصنف من الناس ينالُهم نصيبهم من قول الله ﷻ: ﴿**اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ**﴾ [التوبة:٣١]. لمشاكلتهم لمن نزلت فيهم هذه الآية الكريمة، ولعل سائلاً يتساءل: فِي أي شيء تلك المشاكلة؟

والجواب: أنَّها فِي الاستجابة لساداتِهم وكبرائهم الذين رغبوا عن شرع الله الحكيم وصراطه المستقيم، وفضلوا قوانين البشر الفقراء إلَى الله بكل ما تحمل كلمة الفقر من معنَى، ولَم يقتصروا على ذلك بل رموا شريعة الله القيمة وتكاليفه العادلة الرحيمة بالقسوة والجور وعدم ملاءمتها للإنسان البشري فِي زعمهم: ﴿**قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ**﴾ [التوبة:٣٠].

ومنهم: من يعبد المادة مؤثرًا لَها على ما خلق لأجله ومُحبًّا لَها فوق محبة كل شيء بِحيث يطلبها ويهرع فِي تحصيلها من أي مصدر كان بدون تقيد بقانون فطري، أو التزام بدليل شرعي، بل تراه يواصل السعي ليلاً ونَهارًا لينال تلك الغاية ويُحقق تلك الأمنية ولو بوسيلة الربا والقمار، أو من طريق الغش والخيانة أو الكذب وشهادة الزور، أو عن ظلم الغير -وعن ظلم الغير حدث ولا حرج- أو اشتراء الدنيا بالآخرة مستحلين ذلك استحلالاً قلبيًّا -والعياذ بالله- وعلى هذا الصنف من البشر ينطبق قول الحق سبحانه: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً أُوْلَئِكَ لاَ خَلاَقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلاَ يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ [آل عمران:٧٧].

كما ينطبق عليهم قول النَّبي الكريم ﷺ: «**تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، وتعس عبد الخميلة إن أعطي رضي وإن لَم يعط سخط، تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش**»[1] الحديث.

ومنهم: من يؤثر الشهوات على اختلاف أنواعها: شهوة البطن وشهوة الفرج وشهوة القلب وشهوة السمع وشهوة البصر، وغيرها من الشهوات الموبقات والملذات المرديات، الَّتِي تغضب رب الأرض والسموات على طاعة ربه، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

---

(١) أخرجه البخاري فِي كتاب الجهاد، باب: الحراسة فِي الغزو فِي سبيل الله (ج٤/ص٢٨).

❊ الهدف الثاني من أهداف العقيدة الإسلامية:

توجيه الإنسان إلَى الاتصال والتعلق قلبًا وعقلاً وجوارحًا بالله الخالق القادر الكريم رب السموات السبع ورب العرش العظيم الذي خلق الإنسان من نطفة من ماء مهين ثُمَّ سواه ونفخ فيه من روحه. وجعل له السمع والبصر والفؤاد وسائر الحواس والأعضاء ليكون من الشاكرين وسخر له ما فِي السموات وما فِي الأرض ليكون وسيلة له يتوصل بِها إلَى رضا الله وينال بِها دار الكرامة والسعادة فِي رحاب الله خالقه ومولاه، فلقد أمره سبحانه أن يكون عبدًا حرًّا خالصًا لله ليس معه فيه شركاء ولا شفعاء ولا أنداد، بل كما قال الله ﷻ: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة:١٥٦].

فإن هذه الجملة الكريمة لتدل بوضوح أن جَميع الخلق لله وحده وفِي ملكه وتحت تصرفه وقهره يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، لا يسأل عما يفعل وهو الولي الحميد، ولقد كتب سبحانه أنه لا يكل العباد إلَى عقولِهم ليعبدوه بِما تراه بل أرسل إليهم رسلاً مبشرين ومنذرين، وأنزل عليهم كتبًا جعلها تبيانًا لكل شيء وهدى وبشرى للمسلمين، وبعد ذلك فمن اهتدى فإنَّما يهتدي لنفسه، ومن ضل فإنَّما يضل عليها، ومن عمل صالِحًا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد.

ذلك هو التحرير الحق للإنسان الذي أكرمه الله فحرم عليه أن يصرف شيئًا من أعمال القلوب وأعمال الجوارح لمخلوق مثله مهما كان

له من جاه، ومهما كان له من جبروت وقوة وسلطان، وقربه الله ليكون متصلاً به فِي كل لحظة من لحظات العمر لئلا تصير الحياة هباءً وتنصرم الأوقات بدون استثمار لَها ولا جدوى.

أما أعداء هذه العقيدة وخصماؤها وخصماء أهلها فقد فسروا تحرير الإنسان بتركه لأحكام دينه القويْم، ورفضه لمقاصد عقيدته المرضية كي يظل حرًّا طليقًا من كل بر وفضيلة، وأسيرًا لشهواته الشيطانية الَّتِي توقعه فِي كل شر وبلاء ورذيلة.

ومن المؤسف جدًّا أن كثيرًا من البشرية الَّتِي تنتسب إلَى الإسلام فِي هذا العصر قد استجابوا لنداء أولئك الأعداء والخصماء الألداء، واقتنعوا بِمفهومهم المنحرف لِمعنَى حرية الإنسان فطفقوا يقلدونَهم فِي مبادئهم الخاطئة وقوانينهم الوضعية، واتجهاتِهم الفكرية تقليدًا خاطئًا أعمى اطمأنت به نفوسهم وانقادت له جوارحهم وأشادت بحسنه ولذته ألسنتهم، وصدق الله ﷻ: ﴿**فَإِنَّهَا لاَ تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ**﴾ [الحج:٤٦].

نعم قلدوهم فِي ترك الصلاة والتهاون بِها فأضاعوها فسوف يلقون غيًّا -عذابًا شديدًا فِي نار جنهم- وقلدوهم فِي اشتراء القوانين الوضعية بالأحكام الإلهية وأعلنوها علمانية لا ربانية وما ذلك إلا لأنَّهم يتهمون التشريع الربانِي غالبًا بالجور والقسوة وعدم ملاءمته لإنسان العصر، وسبب هذا الاتِّهام هو ما تكنه صدورهم، بيد أنه يظهر من فلتات ألسنتهم من

البغض لتعاليم هذا الدين الإسلامي الحنيف وأحكامه الشريفة العادلة.

ذلك سبب، وسبب آخر وهو أن الدين الإسلامي بِجميع أحكامه وكافة مقاصده حال بينهم وبين شهواتهم الدنيئة ومقاصدهم الفاسدة الَّتِي يعيشون لَها ويخططون لتحقيقها ﴿**يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ**﴾ [الصف:٨].

حقًّا إن من فَضَّل القوانين الوضعية على الأحكام الشرعية فقد كفر كفرًا يخرج من الملة، ومن اعتقد جواز تحكيم القوانين الجاهلية فقد كفر كفرًا يخرج من الملة، ومن سوَّى بين القوانين الوضعية والأحكام الشرعية فقد كفر كفرًا يخرج من الملة، ومن عزل جَميع الأحكام -أحكام الدين- لتحل محلها القوانين الوضعية فقد كفر كفرًا يخرج من الملة، ومن حكم بشيء من القوانين الوضعية غير مستحل لذلك بل معترف بعصيانه فكفره كفر عملي غير مخرج من الملة ولكنه على خطر عظيم.

وقلدوهم فِي شرب المسكرات على اختلاف أشكالها فقد أوجدت لَها المصانع فِي كثير من بلدان المسلمين، واختلقوا لَها اسمًا جذابًا للسذج من الناس فقالوا دجلا وتَمويهًا: "المشروب الروحي".

أما القرآن الكريم فإنه سَماها رجسًا واعتبرها من عمل الشيطان، فقال سبحانه ناهيًا ومحذرًا عباده المؤمنين: ﴿**يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ [المائدة:٩٠].

كما أوضح القرآن أنَّها مَدْخَلٌ من مداخل الشيطان الَّتِي يصطاد بِها الخلق ويصدهم عن ذكر الله وعن الصلاة اللذين هُما أصل الدين وعماده وقاعدته، إذ لا إسلام ولا إيْمان ولا إحسان ولا استقامة ولا تقوى إلا بِهما، فقال ﷻ: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ**﴾ [المائدة: ٩١].

فأهل الإيْمان الصادق من الرعيل الأول ومن نَهج نَهجهم وسلك دربَهم فإنَّهم قالوا: انتهينا انتهينا -مرتين أو ثلاثًا- وحرمها رسول الله ﷺ ولعنها وتسعة معها، وحدد عقوبة شاربيها فِي الدنيا والآخرة فقال -عليه الصلاة والسلام-: «**لعن الله الخمر وشاربِها وساقيها ومبتاعها وبائعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه وآكل ثَمنها**»[1]. وقد جلد النَّبِي ﷺ شارب الخمر نَحوًا من أربعين، ثُمَّ جلد أبو بكر أربعين، ثُمَّ بعد ذلك استقر الأمر على حد الشارب ثَمانين جلدة حد المفتري.

وأما العقوبة الأخروية: فقد ورد عن النَّبِي ﷺ أنه قال: «**ثلاثة حرم الله عليهم الجنة: مدمن الخمر، والعاق، والديوث الذي يقر فِي أهله الخبث**»[2].

---

(١) رواه الإمام أحمد فِي مسنده (ج٢/ص٩٧) عن ابن عمر، ورواه أبو داود فِي كتاب الأشربة رقم (٣٥٢٧) عن ابن عمر وإسناده صحيح.

(٢) رواه الإمام أحمد فِي المسند (ج٢/ص١٩)، وابن ماجه فِي كتاب الأشربة، باب: من شرب الخمر لَم تقبل له صلاة، وإسناده صحيح.

وقال أيضًا: «**ومدمن الخمر حق على الله أن يسقيه من نَهر الخبال.**

قيل: يا رسول الله وما نَهر الخبال؟. قال: **صديد أهل النار**».

وقصارى القول: فإن الخمر قد ثبت ضررها فِي الدين والعقل والمال والنفس والعرض، وذلك بشهادة النصوص الشرعية والعقول السليمة، فكم من مسلم أثرت فِي إسلامه، وكم من عاقل أذهبت عقله، وكم من غني استهلكت ماله وأفنت، ثروته وكم من مستور العرض والحال انكشف عنه ستره وهتك عرضه، وهذه أمور مشاهدة ومحسوسة، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ومن سلم من شرب أم الخبائث والفواحش بحيث انتصر على شيطانه وهواه فابتعد عنها نصب له الشيطان شبكات أخرى فأوقعه فِي المخدرات والمفترات على اختلاف أشكالها: كالقات والدخان والشمة والشيشة ونحوها من المخدرات والمفترات، ولا يشك منصف يُحب النصح لنفسه وأمته أن هذه القاذورات المذكورات من الخبائث؛ إذ أنَّها تخدر وتفتر، وقد ثبت عن النَّبِي ﷺ النهي عن كل مسكر ومفتر كما جاء ذلك عن أم سلمة رضي الله عنها (١).

وما أكثر أكثر الأضرار الَّتِي تنتج عن تعاطي هذه القاذورات فهي

---

(١) ولفظه عند أبِي داود عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: «نَهى رسول الله ﷺ عن كل مسكر ومفتر». وقد حسنه الحافظ فِي الفتح وصححه الألبانِي فِي صحيح الجامع (ج٦/ص٦٩) بعد أن عزاه إلَى الإمام أحمد وأبِي داود.

تفسد القلب وتضعف القوى، وتجلب البلغم والسعال، وجَميع الأمراض الَّتِي قد يستعصي علاجها بسبب الإدمان على هذه الخبائث الَّتِي لا يرتضيها لنفسه إلا من ضعف عقله وقلت مروءته ومرض قلبه وتحكمت فيه شهواته وسيطر عليه هواه وشيطانه؛ فانقاد لَها كالأسير المكبل، فأوردته شر الموارد ثُمَّ أوصلته إلَى مواطن الردى وسوء الحياة.

ثُمَّ قلدوهم فِي السفور والتبرج والاختلاط الفاجر الأثيم، وهتك الحجاب الشرعي للمرأة المأمور به فِي مُحكم التنْزيل، حيث قال سبحانه: ﴿**يَأَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلاَبِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلاَ يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا**﴾ [الأحزاب:٥٩].

وكما جاء النداء الإلهي والتوجيه الرباني لنساء النَّبي الكريم -عليه الصلاة والسلام- حيث قال سبحانه: ﴿**يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلاَ تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلاَةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا**﴾ [الأحزاب:٣٢-٣٤].

وهذا النداء والتوجيه فِي هذه الآيات الكريْمات وإن كان موجهًا لنساء النَّبي ﷺ خاصة إلا أنه موجه لنساء المسلمين عامة، وذلك لأن

نساء النَّبِي ﷺ هن أمهات المؤمنين وهن الأسوة الحسنة والقدوة الصالحة الرشيدة لِجميع المسلمات والمؤمنات فِي كل زمان ومكان حَتَّى يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين.

ولقد ورد فِي السنة الشريفة المطهرة النهي عن السفور والتبرج حيث قال ﷺ: «**صنفان من أهل النار لَم أرهُما: قوم معهم سياط كأذناب البقرة يضربون بِها الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات، رءوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة ولا يَجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا**»[(١)].

كما ورد عنه ﷺ النهي عن سفر المرأة وحدها خوف الفتنة فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يَحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر تسافر مسيرة يوم وليلة إلا مع ذي محرم**»[(٢)].

كما ورد أيضًا النهي الصريح عن الخلوة بالأجنبيات والدخول عليهن ففي سنن الترمذي، والنسائي أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يَخلون رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما**»[(٣)].

وفِي البخاري ومسلم -رحِمهما الله- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:

---

(١) أخرجه مسلم رقم (٢١٢٨).

(٢) أخرجه البخاري فِي تقصير الصلاة، ومسلم رقم (١٣٣٩).

(٣) رواه الترمذي تفسيرًا لِحديث: «**إياكم والدخول على النساء**». فِي كتاب الرضاع باب: (١٦) ما جاء فِي كراهية الدخول على المغيبات حديث (١١٧١/ص٧٤).

قال رسول الله ﷺ: «**لا يخلون أحدكم بامرأة إلا مع ذي محرم**»(١).

وفِي الصحيحين أيضًا عن عتبة بن عامر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إياكم والدخول على النساء**. فقال رجل من الأنصار أفرأيت الحمو. قال: **الحمو الموت**»(٢).

والمراد بالحمو: قريب الزوج كأخيه وخاله وابن عمه وأخيه ونَحوهم. ممن لا يَمتون إلَى الزوجة بنسب أو سبب، غير أن الذئاب من البشر لا يبالون بِهذه النصوص الكريْمة ولا يقدرونَها حق قدرها ولا يسلمون لمدلولاتِها رغبًا ورهبًا غالبًا، وهي فِي الواقع ما جاءت إلا لتحول بينهم وبين الفوضى الجنسية الَّتِي تسبب الأضرار الخطيرة للمجتمعات، وتنشر الفساد فِي الأرض، فتحل الوقاحة محل الحشمة والحياء والعفاف، وهؤلاء الذئاب يدعون بأنَّهم أنصار المرأة ومنصفوها يريدون لَها الحياة الحرة الَّتِي تتمتع بِها المرأة الغربية الَّتِي تعيش فِي مجتمعات جاهلية لا تعرف إسلامًا ولا إيْمانًا ولا تعرف حلالاً ولا حرامًا ولا تفرق بين فضيلة ولا رذيلة ولا بين عفة وانحلال، وهم فِي دعواهم هذه يخادعون الله ورسوله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون، وقلدوهم أيضًا فِي أمور أخرى كثيرة لا تدخل تحت الحصر

---

(١) أخرجه البخاري فِي كتاب الحج، باب: حج النساء، ومسلم فِي الحج رقم (١٣٤١).
(٢) أخرجه البخاري فِي كتاب النكاح، باب: لا يخلون رجل بامرأة إلا مع ذي محرم، ومسلم فِي كتاب السلام، باب: تحريم الخلوة بالأجنبية رقم (٢١٧٢).

فِي هذا البحث المختصر، فمنها:

١- استحسان كشف عورة الرجل ككشف الفخذ، وتجسيم السوأتين بالسراويل القصيرة الضيقة، الأمر الذي يتنافى مع مكارم الأخلاق والحياء والمروءة، ويثير الفتنة فِي صفوف القوارير لاسيما الشابات منهن، وبالأخص المشجعات للرياضيين فِي دنيا البشر وما أكثرهن، فاللهم سلم سلم، ولا تؤاخذنا بِما فعل السفهاء منا، ولا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا.

٢- **ومنها:** حلق اللحى وإسبال الشوارب المحرمان بنص الكتاب العزيز والسنة المطهرة، حيث قال المولى سبحانه: ﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾ [الحشر:٧].

وقد أمر النَّبِي ﷺ ذكور أمته بإعفاء اللحى وقص الشوارب فقال: «**خالفوا المشركين وفروا اللحى وأحفوا الشوارب**»[(١)]. وحقًّا إن السعادة والطمأنينة والصلاح والفلاح والكمال والجمال فِي امتثال أمره ﷺ واجتناب نَهيه وتصديق خبره والتأسي بفعله لو كانوا يفقهون.

٣- **ومنها:** حب السهرات الممقوتة على الأغانِي الخليعة الَّتِي تسبب قسوة القلب وعماها، وتبذر فيها أنواع الشر والفساد، وتنسي

---

(١) رواه البخاري فِي كتاب اللباس، باب: ٦٤ تقليم الأظافر، ومسلم فِي كتاب الطهارة، باب: خصال الفطرة رقم (٢٥٩).

عاشقيها ذكر الله الذي تطمئن به القلوب الحية المبصرة وتقشعر منه جلود أهل الخشية والاستقامة على الحق وتنقاد جوارحهم لله رب العالمين.

٤- ومنها: حب الألعاب القبيحة كالميسر والضمنة والكيرم والفرفرة ونحوها من الألعاب الَّتِي تعود على أهلها السباب والشتائم والحلف الكاذب وقتل الوقت الذي يجب أن يستثمر فيما يرضي الله ويقرب إليه.

ثُمَّ إنه قد ينتج قطعًا عن تلك السهرات البغيضة تضييع صلاة الفجر إن كان القوم ممن يصلون، وكفى بذلك إثْمًا عظيمًا وخسرانًا مبينًا.

٥- ومنها: محبة أهل الشر والفسق والفساد وبغض أهل الخير والدعوة والجهاد وهذا صنيع من رانت المعاصي على قلوبِهم فانعكست عليهم الحقائق وكان أمرهم عليهم غمة وزين لَهم الشيطان أعمالَهم، فوضعوا المحبة فِي غير موضعها الصحيح استجابة لأهوائهم وانقيادًا لشياطينهم وابتعادًا عن شريعة ربِّهم الَّتِي جاءت نصوصها تبين فِي وضوح أن المحبة يجب أن تكون لأولياء الله العاملين بطاعته المحكمين لدينه وشريعته، وأن البغض لأعدائه، وشر عباده التاركين لطاعته والمعرضين عن دينه المبغضين لأحكام شريعته، وَلَكَمْ قد سمعنا أن عبرات سكبت، وأنات ترددت، وجيوبًا شقت، ووجوهًا خُمشت، وخدودًا لطمت، عندما فجع أصحابُها بِموت مغن أو مغنية ممن كانت لياليهم ليالي سوء ولَهو وغفلة ترضي كل شيطان مريد، وتغضب الرحمن الفعال لما يريد، الذي وإن أمهلهم فإنه لا يهملهم فقد جرت سنته أن يُمهل الظالم حَتَّى

إذا أخذه لَم يفلته كما ثبت بذلك الحديث[١].

وكم من عالم نحرير، ومصلح مؤلف قدير قد عمر أرض الله بشريعته وافته منيته، فلم يعلم عنه إلا القليل من الناس، ولم يبك عليه ويرثيه إلا مصلاه فِي الأرض ومصعد عمله فِي السماء، فإلَى الله لا إلَى غيره المشتكى.

٦- **ومنها**: زي الخنافس لبسًا وإسبالاً وحلقًا وشعورًا، العمل الذي يتنافى مع كثير من تعاليم الشريعة الإسلامية إذ أن تعاليمها تقضي بكل فضيلة وتنهى عن كل رذيلة تدعو إلَى إعفاء اللحى وقص الشوارب وستر العورات وتقليم الأظفار وتنهى عن حلق اللحى وإسبال الشوارب وإسبال الإزار وتطويل الأظفار كالمخالب، ولقد زهد أصحاب الخنافس فِي تلك التعاليم الرفيعة بل اعتبروها تخلفًا ورجعية وجُمودًا وما هم عليه حضارة وتقدمًا، ولِهؤلاء القوم أوصافهم الَّتِي تُميزهم عن أهل الاستقامة حقيقة، وتلحقهم بِما اختاروا لأنفسهم التشبيه به من حشرات الأرض الَّتِي تدعى الخنافس فِي الصورة، وحفظ الله الشيخ الفاضل أحمد بن يحيى النجمي الذي قال فِي وصف هذا الصنف من الناس شعرًا يحضرني منه قوله:

وقــد أتــى قوم يُحبون الخنا سمــوا خنافسًــا بأوضع الدنا

---

(١) يعني قوله ﷺ: «إن الله يُمهل الظالم فإذا أخذه لَم يفلته». ثُمَّ قرأ: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾. متفق عليه من حديث أبِي موسى رضي الله عنه.

وإن تـــرد فِي وصفهم مقالا فـــإنَّهم قـــد أرخـــوا السبالا
وحلقوا اللحى وأعفوا العذر محـــبة مـــنهم لمـــا كـــان نكر
وطولـــوا الشعور للمناكب وطولـــوا الأظفـــار كالمخالب
ولبســـوا سراولاً لَهم تصف عوراتِهم إذ جنسهم بِها عرف
لأنَّهـــا قد ضيقت من علوها ووســـعت وأسبلت من سفلها
ولابـــس الثوب به قد كنسا ممشـــاه كـــي يدعى به خنافسا
وهـــذه صـــفاتُهم بالمظهـــر أمـــا صـــفاتُهم بحكـــم المخبر
قد رغبوا عن مطلق الفضائل واتصـــفوا بأقـــبح الـــرذائل
لَهـــم مجـــالس دخانُها يعج مـــن شـــرهم ملائك الله تضج
عكوفهم على بلوت من ورق وكـــيرم وضـــمنة شأن الخرق
شـــر بلية على الإســـــلام وشـــر فـــرقة مـــن الأنـــــام

قلت: وما إخاله تجاوز الحقيقة فِي وصفهم ولا قال جنفًا فِي حقهم.

ونسأل الله أن يهدي ضال المسلمين، وأن يرده إلَى طريق الحق ردًّا جميلاً.

وأخيرًا: فإن الحقيقة لا تكتم، وإن التاريخ ليحكي الواقع فلا يداهن ولا يُجابِي ليرحم فإن معظم المسلمين قد قلدوا أعداءهم فِي أعمال قبيحة تسخط الله عليهم وتؤذنُ بالعقوبة العاجلة وقد حلت، كما يؤذن بالعقوبة الآجلة وستأتِي غدًا إن لَم يثوبوا إلَى رشدهم ويعودوا صادقين إلَى أحكام دينهم، نعم ستأتِي غدًا وإن غدًا لناظره قريب كما قال ﷻ :

﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

❊ الهدف الثالث من أهداف العقيدة الإسلامية:

إخلاص النية فِي جَميع العبادات البدنية والمالية بأن يكون المقصود بِها وجه الله والدار الآخرة، كما جاء فِي الحديث الصحيح: «**إنَّما الأعمال بالنيات، وإنَّما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلَى الله ورسوله فهجرته إلَى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلَى ما هاجر إليه**»[1].

وانطلاقًا لتحقيق هذه الهدف فإن طلبنا للعلم ودعوتنا إلَى الله وجهادنا فِي سبيله وجَميع ما نتقرب به إليه من أداء الفرائض والواجبات، وفعل المستحبات، وترك المحرمات والمكروهات كل ذلك يجب أن يكون خالصًا لله لا رياء فيه ولا سُمعة ولا حبًّا لشهرة أو متعة أو مدحة، بل كما قال الله ﷻ: ﴿**فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا**﴾ [الكهف:١١٠]. وما فِي معناها من النصوص القرآنية، والأحاديث النبوية الَّتِي تحث على الإخلاص واعتباره شرطًا أساسيًّا فِي ضحة الأعمال وقبولِها.

وإذا كان الأمر كذلك فإنني أحب أن أسجل سؤالاً وجهه إلَيَّ

---

(١) رواه البخاري فِي كتاب بدء الوحي (ج١/ص٢) عن عمر بن الخطاب، ورواه مسلم فِي كتاب الإمارة (ج٣/ص٥٣) عن عمر بن الخطاب.

أحد الطلبة النابِهين حيث قال: إذا كان طلب العلم عبادة فما هي المقاصد الَّتِي يطلب العلم من أجل تحقيقها؟.

فقلت له: إن المقاصد الَّتِي ينبغي أن يطلب العلم من أجل تَحقيقها وتنفيذها فِي حياتنا العملية هي:

أ- لينقذ الإنسان نفسه من ظلمات الجهل بنور العلم والإيْمان؛ وذلك لأن الجهل ظلمة والعلم نور كما قال ﷻ: ﴿**الـــر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ**﴾ [إبراهيم:١].

وكذلك الجهل موت والعلم حياة كما قال ﷻ: ﴿**أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا**﴾ [الأنعام:١٢٢].

ولقد اعتبر القرآن الكريم الجاهل بِما أنزل على مُحَمَّد ﷺ أعمى والعالم العامل به مبصرًا كما قال ﷻ: ﴿**أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ**﴾ [الرعد:١٩].

ولخطر الجهل وشؤمه فقد حذر الله منه أنبياءه ورسله فقال لنوح عليه السلام: ﴿**إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ**﴾ [هود:٤٦]. وقال لمحمد ﷺ: ﴿**فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ**﴾ [الأنعام:٣٥].

ولأهمية العلم وفضله فقد أمر الله به جَميع أنبيائه ورسله كما امتن

سبحانه على إمام الأنبياء وخاتِمتهم مُحَمَّد -صلى الله وسلم عليهم أجمعين- فقال سبحانه: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلاَ الإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي به مَن نَّشاءُ منْ عِبَادِنَا﴾ [الشورى:٥٢].

ولقد أمر الله الناس جَميعًا أن يكونوا علماء ربانيين حيث قال: ﴿وَلَكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران:٧٩].

ثانيًا: ليعمل طالب العلم بالعلم فيعبد الله على بصيرة وبصدق وإخلاص عبر تاريخ حياته الدنيوية امتثالاً لأمر الله ﷻ ورجاءً لثوابه وخوفًا من أليم عقابه، كما قال تعالى: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر:٩٩]. وكما قال أيضًا: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِه هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم:٦٥].

أما إذا علم الإنسان ولَم يعمل بعلمه فقد عرض نفسه لأشد الوعيد وسلك طريق الخطر والهلاك، وما مسخ الله اليهود قردة وخنازير إلا لأنَّهم لَم يعملوا بعلمهم، ومن تشبه بِهم من الأمة المحمدية فهو منهم وسيناله من العذاب ما نالَهم، كما ثبت فِي الحديث عن النَّبي ﷺ أنه قال: «**ومن تشبه بقوم فهو منهم**»[1].

---

(١) رواه أبو داود فِي سننه عن ابن عمر وقال: وفِي إسناده عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان، وهو ضعيف (ج٦/ص٢٤٠، ٢٥).

=

ثالثًا: ليبلغ العلم محتاجيه فيجد ويجتهد فِي تعليم الغير من قريب وبعيد أداءً للأمانة وبراءة للذمة وخروجًا من التبعة، إذ أن كاتم العلم مرتكب كبيرة من كبائر الذنوب كما جاء فِي الحديث عن النَّبي ﷺ أنه قال: «**من كتم علمًا ألجم بلجام من نار يوم القيامة**»(١). أو كما قال ﷺ.

رابعًا: لينال مقام التكريم، وشرف العناية الربانية مضمومتين إلَى الثواب العاجل والآجل إذ أن الملائكة الكرام يبسطون أجنحتهم لطالب العلم رضًا بِما يطلب، وأن من فِي السموات ومن فِي الأرض حَتَّى الحوت فِي الماء، والطير فِي الهواء يستغفر لطالب العلم(٢).

ويوم القيامة يكون مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين فِي جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين.

قلت: نظرت تَهذيب التهذيب فوجدت كثيرًا من علماء الحديث أثنوا على المذكور إلا أبا داود، قال: "كان فيه سلامة، وليس به بأس، وكان مجاب الدعوة".
وروى الحديث أيضًا الإمام أحمد فِي مسنده عن ابن عمر (ج٢/ص٥٠) بلفظ: «**بعثت بالسيف حَتَّى يعبد الله وحده لا شريك له، وجعل رزقي تحت ظل رمحي، ومن تشبه بقوم فهو منهم**».

قلت: وللحديث شواهد تجعله صالحًا للاحتجاج به، والله أعلم.

(١) رواه أحمد فِي مسنده عن أبِي هريرة (ج٢/ص٤١٩، ٥٠٨)، ورواه ابن ماجه فِي المقدمة (ج١/باب٢١) من سئل عن علم فكتمه بمعناه" (ج١/ص٩٦) عن أبِي هريرة، وهو صحيح.

(٢) أخرجه مسلم فِي كتاب الذكر بِمعناه عن أبِي هريرة.

❊ الهدف الرابع من أهداف العقيدة الإسلامية:

الراحة النفسية والفكرية وذلك لما فِي هذه العقيدة من ميزة كبرى وفضل عظيم فهي الَّتِي تصل العبد بخالقه وتجعله يقر به ربًّا خالقًا رازقًا ومنعمًا بِجميع النعم الَّتِي لا تدخل تحت العد والحصر، وهي الَّتِي تجعله يعترف به إلهًا معبودًا بدون شريك له فِي العبادة كما لَم يكن له شريك فِي الخلق والرزق والتدبير، وهي الَّتِي تجعله يرضى بخالقه حاكمًا ومشرعًا فِي القليل والكثير فِي العبادات والمعاملات والأخلاق والسلوك، وفِي السياسة والحكم والحرب والسلم وفِي كل شأن من شئون الخلق فِي هذه الحياة وبعد الممات، وهي وحدها الَّتِي تسد الخواء وتذهب القلق الموجودَيْن لدى كل من انْحرف قلبه وفكره عن الفطرة والإيْمان بربه بسبب الأهواء المتشعبة والأفكار المنحرفة والدعوات الهدامة المغرضة الَّتِي تفسد الدين وتَحطم الأخلاق والسلوك وتحارب فطرة الله الَّتِي فطر الناس عليها.

فعقيدة هذا شأنُها وتلك آثارها لا غرابة أن تَجلب لصاحبها الراحة النفسية والطمأنينة الفكرية وصفاء القلب فيظل ثابتًا فِي وجه كل فتنة يوري لظاها كل شيطان مريد، وما ذلك الثبات إلا نتيجة لرسوخ العقيدة الإسلامية فِي قلبه وثبوتِها ثبات الجبال الرواسي فلا تستطيع أعاصير الفتن التأثير على تلك العقيدة الثابتة الصلبة بل تتحطم على صخورها معاول الهدم والشر والفساد.

❊ الهدف الخامس من أهداف العقيدة الإسلامية:

سلامة القصد والعمل من الانحراف فِي العقيدة والعبادة والمعاملة والسلوك، وهذا الهدف لا يُمكن أن يتحقق إلا بطاعة الله ﷻ وطاعة رسوله ﷺ وذلك بامتثال الأوامر واجتناب النواهي فمتى جاء العبد بالعمل على وفق ما جاء به رسول الله ﷺ ودعا الناس إليه فقد برئ من الانحراف، ومتى عدل العبد عما جاء به رسول الله ﷺ إلَى عمل مبتدع أو هوى متبع فقد انحرف عن سواء السبيل، سواء كان ذلك الانحراف فِي العقيدة أو العبادة أو المعاملة أو السلوك، فحينما يعدل العبد مثلاً عن عقيدة أهل السنة والجماعة فِي باب الأسْماء والصفات أو فِي باب أفعال الله أو فِي باب الإيْمان بالله ويختار لنفسه مذهب الجهمية المعطلة، أو المعتزلة، أو الأشعرية الغلاة، أو المشبهة، أو الحرورية، أو المرجئة، أو الحلولية، أو الاتحادية، أو ينتحل مذهبًا هدامًا كالشيوعية الملحدة أو الاشتراكية الظالمة أو القاديانية الفاسدة المفسدة، أو الصوفية الضالة المضلة، أو غير ذلك من العقائد الفاسدة والمذاهب الهدامة، فقد انحرف بحسب ما يحكم عليه الإسلام ويحدد ذلك الانحراف.

ومتى عدل العبد فِي باب العبادات عن الكيفيات الَّتِي فصلها الله فِي كتابه وبينها الشارع الحكيم فِي سنته وجعل لَها حدودًا وأوقاتًا زمانية ومكانية وكمًّا وكيفًا وطريقة ونظامًا إلَى ما يُمليه عليه شيطانه وهواه فقد انحرف فِي العبادة، ومتى عدل العبد فِي باب المعاملات عن

الصدق فيها إلَى الكذب، ومن أوجه الحلال إلَى الحرام كالربا والخديعة والغش والخيانة والغصب والسرقة والنهب. ونحو ذلك من أوجه الحرام الَّتِي تتنافى مع قول النَّبِي ﷺ: «**إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا فِي شهركم هذا فِي بلدكم هذا**»[1]. فقد انحرف إلَى موجبات سخط الله وأليم عقابه يوم لقائه، ومتى اختار الإنسان لنفسه سلوكًا وأخلاقًا وزيًّا يضاهي فيها أهل الكفر والفسق والإلحاد وترك السلوك الحسن والأدب الجميل والخلق الكريم الَّتِي نادى بِها وحث عليها هذا الدين لكمالِها وسموها وحسن آثارها فقد انحرف فِي هذا الباب الذي تكون الأمة بوجوده أمة صالحة قوية مترابطة فِي جَميع شئونِها، كما تكون بفقده أمة ضعيفة مهزوزة ذاهبة لا كيان لَها ولا قيمة، لِحياتِها وما أحسن قول الشاعر[2]:

فإنَّما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هموا ذهبت أخلاقهم ذهبوا

وقصارى القول: فما أكثر أهل الزيغ والفساد والانحراف فِي زماننا هذا حيث يكثر الانحراف فِي العقيدة كما يكثر فِي العبادة والمعاملة والأخلاق والسلوك، ولقد بَخل أطباء هذا المرض -أعني مرض الانحراف- بأنفسهم عن معالجة أهله وذويه إلا من رحم الله منهم وقليل ما هم، ولا غرابة أن يكونوا قليلاً إذ أن أصحاب الدعوة إلَى الله على

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) الشاعر: هو أحمد شوقي.

المنهج السلفي الأصيل والنصح لعباد الله قليل فِي كل زمان ومكان عبر تاريخ أمم الأرض كلها من لدن آدم عليه السلام إلَى أن ختمت بِهذه الأمة المحمدية الَّتِي كمل بِها سبعين أمة من بنِي آدم كما ثبت بذلك الحديث عن النَّبِي ﷺ(١).

❊ الهدف السادس من أهداف العقيدة الإسلامية:

الحث على السعي المتواصل بحزم وجد فِي سبيل رضا الله واتقاء سخطه وذلك بالتقرب إليه بفعل طاعته واجتناب معصيته فِي كل لحظة من لحظات العمر، وتلك هي الحياة المباركة الطيبة الَّتِي يترتب عليها الجزاء الحسن فِي كلا الدارين كما قال سبحانه: ﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [النحل:٩٧].

ثُمَّ إن من رحْمة الله بمن هداه للإيْمان وشرح صدره للإسلام من ذكر أو أنثى أنه ما يتحرك من حركة ولو فِي سبيل تحصيل معيشته أو قضاء حاجاته على اختلاف أنواعها من مأكل ومشرب وملبس ومركب ومسكن ومنكح وجَمع للمال من وجوه الحلال وجعله فِي طرق الخير والإحسان إلا كان ذلك كله فِي صحيفة الحسنات إذا حسنت النية وصح القصد؛ لأن فِي ذلك امتثالاً لأمر الله حيث قال: ﴿**هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ**

---

(١) «**أنتم توفون سبعين أمة أنتم أكرمهم على الله عز وجل وأفضلهم**»، أخرجه الحاكم بِهذا اللفظ، وبنحوه عند ابن ماجه وإسناده حسن.

الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك:١٥].

وأكد هذا الأمر بقوله: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة:١٠].

وكم من حديث صحيح جاء فِي الحث على الكسب الحلال: كالبيع وعمل الرجل بيده وغرس الأشجار وبذر الأرض لتؤتِي أكلها كل حين بإذن ربِّها، وبجانب ذلك فكم من نص صريح وخبر صحيح جاء يحذر من الضعف والكسل والتواكل والعجز فقد قال ﷺ: «**المؤمن القوي خيرٌ وأحب إلَى الله من المؤمن الضعيف وفِي كلٍّ خير، احرص على ما ينفعك، ولا تعجز، وإن أصابك شيءٌ فلا تقل لو أنِّي فعلت كان كذا وكذا؛ ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان**»(١). وقال أيضًا: «**لئن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب خير له من أن يسأل الناس شيئًا أعطوه أو منعوه**»(٢).

كما جاء الترغيب فِي السعي على الغير بنيل الأجر الوفير والثواب الجزيل حيث قال ﷺ: «**الساعي على الأرملة والمسكين كالْمجاهد فِي سبيل الله**»(٣).

---

(١) أخرجه مسلم فِي كتاب القدر باب: الأمر بالقوة وترك العجز رقم (٤٦٦٢).

(٢) رواه البخاري فِي صحيحه كتاب الزكاة، باب: الاستعفاف عن المسألة، عن أبِي هريرة رضي الله عنه (ج٢/ص١٢٩)، وأحمد فِي مسنده (ج١/ص١٦٤)، والنسائي فِي كتاب الزكاة، وابن ماجه فِي كتاب الزكاة، ورواه مالك فِي الموطأ فِي كتاب الصدقة.

(٣) رواه البخاري فِي كتاب النفقات (ج٦/ص١٨٩)، ومسلم فِي كتاب الزهد رقم (٢٩٨٢) عن أبِي هريرة.

وقال أيضًا -عليه الصلاة والسلام-: «**إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة فاستطاع أن لا تقوم حَتَّى يغرسها فليغرسها فله بذلك أجر**». إسناده حسن[1].

❊ الهدف السابع من أهداف العقيدة الإسلامية:

تكوين أمة قوية فِي عقيدتِها وإيْمانِها، قوية فِي عدتِها وأجسامها، قوية فِي نصحها وإخلاصها، قوية فِي عباداتِها ومعاملاتِها، قوية فِي أخلاقها وسلوكها قوية فِي سعيها لدنياها لتعمر الأرض كما يريد الله، قوية فِي سعيها لآخرتِها لتنال ثواب الله، ولن تكون الأمة كذلك حَتَّى تؤثر الحق على الباطل، والهدى على الضلال، والبر على الإثم، والفضيلة على الرذيلة، والجهاد فِي سبيل الله على جَميع متاع الحياة، والجهر بكلمة الحق على الصمت والسكوت حين تنتهك مَحارم الله فِي حدود الشرع، ومتى كانت الأمة قوية فِي تلك الجوانب الآنفة الذكر، ومؤثرة الخير كله على الشر بِحذافيره فإنَّها ستُمنح العز والنصر والتمكين فِي دنياها، والسعادة والفلاح والفوز العظيم فِي أخراها، وسيهابُها الأعداء مهما كانت قوتُهم فِي عددهم وعدتِهم وعندئذ سينتشر دين الله الحق فِي مشارق الأرض ومغاربِها ويدخل الناس فيه أفواجًا آمنين مطمئنين وراغبين منقادين لأمر الله رب العالمين، والعكس بالعكس فمتى كانت الأمة ضعيفة فِي إيْمانِها ونصحها وإخلاصها، ضعيفة فِي معاملاتِها

(١) رواه الإمام أحمد فِي مسنده (ج٣/ص١٩٤) عن أنس بن مالك ﷺ.

وأخلاقها وسلوكها، ضعيفة فِي سعيها لدنياها وأخراها مؤثرة للفانية على الباقية وللذة ساعات من ساعات العمر على الملك الكبير والنعيم الدائم، نعم متى كانت الأمة كذلك فلا سبيل لَها إلَى نصر أو عز أو تمكين، ولا نصيب لَها فِي حياة مباركة طيبة، بل إنَّها ستتكالب عليها الأعداء وتتداعى عليها الأمم فتسلب خيراتِها وتخدش كرامتها وتزلزل أمنها واستقرارها، سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلاً.

خير ما يختم به هذا الهدف الأخير قول الله ﷻ: ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لاَ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾ [النور:٥٥]. ﴿**الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ**﴾ [الحج:٤١]. ﴿**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ**﴾ [العنكبوت:٦٩].

* * * * *

الخـاتمـة

كان الحديث فِي هذا البحث المبارك عن أسس العقيدة الإسلامية وعن أهدافها الجليلة ومقاصدها الحسنة، وحيث إن لكل بحث خاتمة تكون تكميلاً له ومرتبطة به، فإنِّي أحب أن تكون خاتمة هذا البحث هي مقومات النصر الَّتِي متى توفرت لدى الأمة من الأمم نصرها الله على أعدائها مهما كان عددهم وعدتُهم.

فأقول: إن مقومات النصر تكاد تنحصر فِي الأمور التالية:

أ- فهم العقيدة الإسلامية فهمًا صحيحًا وتطبيقها تطبيقًا عمليًّا فِي واقع الحياة أفرادًا وجَماعات ودولاً وحكامًا ومحكومين، إذ بتطبيقها تسعد الأمة وتظفر بالنصر والعز والتمكين.

ب- تنفيذ البيع وتجديده كلما ضعفت الهمم وفترت العزائم وأعنِي بالبيع هو الذي تم وأبرم بين الله القوي العزيز الغني الحميد وبين عباده المؤمنين الذين باعوا نفوسهم من خالقها ومالكها ليجاهدوا فِي سبيله فيظفروا بإحدى الحسنيين النصر والغنيمة أو الشهادة وهي أشرف مراد وأعز مطلب لما لصاحبه من الأجر والثواب الذي لا نظير له إلا لمن كان من أهل الجهاد فِي سبيل الله، قال الله ﷻ: ﴿**إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا**

عَلَيْه حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة:١١١].

ج- العزم الصادق على القيام بفريضة الجهاد تحت راية لا إله إلا الله، مُحَمَّد رسول الله.

د- قوة القيادة الشرعية المؤمنة الحكيمة المخلصة وتنظيمها تنظيمًا عسكريًّا إسلاميًّا يتفق مع أساليب القتال وفنون الحرب بحسب الزمان والمكان، كما قال تعالى: ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**﴾ [آل عمران:١٠٣].

هـ- الالتزام العام بجميع تعاليم دين الإسلام عبادات ومعاملات وسياسة وحكم وحرب وسلم وسلوك وخلق وما ذلك إلا لأنه دين الحق والكمال فلا يقبل التجزئة في العمل بحيث يقبل بعضه ويرفض البعض الآخر بحسب شهوات النفس وهواها، قال ﷻ: ﴿**وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾ [آل عمران:٨٥]. وقال سبحانه: ﴿**أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**﴾ [البقرة:٨٥].

و- دوام الثبات والاستقامة على الحق علمًا وعملاً ودعوة إليه

وتضحية فِي سبيل نصرته بالنفس والنفيس والغالي والرخيص امتثالاً لأمر الله القائل: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الأنفال:٤٥].

ز- الطاعة لله فِي العسر واليسر والمنشط والمكره، والمحبة والمتابعة لرسول الله ﷺ كذلك.

ح- الطاعة لولي الأمر المسلم الذي ولاه الله أمر المسلمين فِي المعروف وجعله خليفة فِي الأرض ومسئولاً عن نشر الصلاح والإصلاح فيها، وذلك بتحكيم شرع الله الذي ارتضاه لأمم الأرض كلها فالحمد لله الذي وفق الدولة السعودية لاحتضان الدعوة الإسلامية ونشرها فِي أقطار الأرض.

ط- الدوام على ذكر الله الذي شرعه الله على لسان رسوله ﷺ ذكرًا بالقلب واللسان من قراءة القرآن الكريم والتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير والتوبة والاستغفار عملاً بقول الله ﷻ: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ [الأحزاب:٤١-٤٢].

ي- الإخلاص، فإن للإخلاص آثارًا كريمة فِي نجاح الأعمال وقبولها ومضاعفتها أضعافًا كثيرة وتفريج الكربات الدنيوية والأخروية، وما قصة أصحاب الصخرة عن الأذهان ببعيد.

ك- الصبر بِجميع أقسامه، فكم له من الآثار الحسنة والفوائد الجمة والنتائج الطبية والعواقب الحميدة، وكثيرًا ما أوصى الله به فِي القرآن

الكريم حيث قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]. ولقد أحسن الذي قال:

الصبر مثل اسْمه مر مذاقته لكن عواقبه أحلى من العسل

ل- تطهير القلوب وتزكية النفوس من أسباب الخلاف والفرقة الَّتِي مزقت الصفوف المسلمة وقسمتها شيعًا وأحزابًا: ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم:٣٢].

كما هو الواقع فِي هذا الزمان إلا من يشاء الله من عباده وقليل ما هم، وبالتالي: فإنه لن يتم للمسلمين نصر على أعدائهم ولن يحصل تحرير لقدسهم ومقدساتِهم من اليهودية الماكرة والصهيونية الغادرة إلا إذا تخلقوا بِمقومات النصر الَّتِي مَنَّ الله بتدوينها فِي هذه الخاتمة المباركة، ومن تأمل القرآن الكريم وجد أن النصر مشروط بِمقوماته كما قال ﷻ: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [مُحَمَّد:٧]. فإن هذه الآية الكريمة تبين فِي وضوح أنه متى حصل نصر من المؤمنين لله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه والجهاد في سبيله ومتابعة رسوله ﷺ حصل لَهم من الله النصر المؤزر فِي الدنيا والآخرة كما وعد سبحانه بقوله وقوله الحق: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ﴾ [غافر:٥١].

ثُمَّ إنني لأكرر عن يقين أنه لن يتأتَى لأمة الإسلام نصر على أعدائهم

فِي أي زمان أو مكان إلا إذا اعتصموا بحبل ربِّهم وتمسكوا بالعروة الوثقى وكانوا حُماتَها وأهلها حقًّا وحقيقة، وتفاعلوا معها علمًا وعملاً ودعوة وجهادًا وحكموا شريعة الله العادلة الرحيمة فِي شأنِهم كله وأعلنوها ربانية لا علمانية، أما إذا كان العكس لا قدر الله فإن النصر لا يرجى بل يكاد يكون مستحيلاً وما أشبه طالبيه بِمن ينفخ فِي رماد هامد ليتقد، أو بِمن يضرب فِي حديد بارد ليلين، أو بِمن يحاول زرع جنة بين السماء والأرض لتؤتي أكلها كل حين.

وختامًا: أدعو الله بإلحاح أن يرد قادة المسلمين والمسلمين أجْمعين إلَى الحق ردًّا جميلاً وأن يرزقهم ويرزق بطاناتِهم وشعوبِهم التوفيق للاستجابة لله ولرسوله ﷺ لما يُحييهم فِي دنياهم وأخراهم وأن يجعلهم مستمسكين بِمقومات النصر المبين على أعدائهم اليهود والشيوعيين وسائر الكفرة والمشركين.

وصلى الله وسلم على سيدنا ونبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

* * * * *

فهـــرس الـمـوضـــوعـات

الـموضـــوع	الصفحة
تقريظ	٥
المقدمة	٩
تمهيد ويشمل ما يلي :	
أ- أهمية العقيدة الإسلامية في حياة البشرية	١١
ب- أقسام الناس حيالها	١٢
ج -خطر الانحراف عنها	١٤
الباب الأول	
ويشمل الموضوعات التالية :	
تعريف العقيدة لغة واصطلاحاً	١٧
ذكر أسس العقيدة إجمالاً عند أهل السنة والجماعة	١٨
حقيقة الإيمان والجزاء عليه	١٩
الأساس الأول من أسس العقيدة – الإيمان بالله	٢١
بيان الأمور التي تندرج تحت هذا الأساس	٢١
الأساس الثاني من أسس العقيدة الإيمان بالملائكة ويشتمل على :	
أ- التعريف بالملائكة	٢٩

ب -صفاتهم الخلقية والخُلُقية..... ٢٩
ج -وظائفهم التي هيأهم الله للقيام بها ٣٠
د -بيان الأمور التي يتضمنها الإيمان بهم ٣٨
هـ -ثمرات الإيمان بهم ٣٨
الأساس الثالث من أسس العقيدة الإيمان بالكتب ويشتمل على
الموضوعات التالية :
أ- تعريف الإيمان بالكتب..... ٤٠
ب -وجوب الإيمان..... ٤٠
ج -بيان ما ذكر منها في القرآن العظيم ٤٠
د -الميزات الجليلات لهذا القرآن ٤١
هـ -الترغيب في تلاوته..... ٤٢
و -اعتباره معجزة خالدة ٤٤
ح -ما جرى للإمام أحمد وصحبه في المحنة ٤٥
ط -ثبوت أهل الإيمان على إيمانهم مهما كانت الابتلاءات ٤٧
ي -كلمة خاتمة لهذا الأساس..... ٤٨
ك -نعوت القرآن الكريم ٤٨
الأساس الرابع من أسس العقيدة – الإيمان بالرسل
بين يدي الموضوع..... ٥٢
ذكر مهمة الرسل والحكمة من بعثتهم ٥٣

بعض خصائصهم ٥٤
الأمور التي يقتضيها الإيمان بالرسل ٥٦
ذكر من صرح باسمه في القرآن منهم ٥٧
عدد الأنبياء إجمالاً ٥٨
حديث مفصل عن سماحة الشريعة الإسلامية وصفات من جاء بها .. ٥٩
ثمرات الإيمان بالرسل ٦١
الأساس الخامس من أسس العقيدة: الإيمان باليوم الآخر.
اقرأ كلمة قصيرة بين يدي الموضوع ٦٣
المراد باليوم الآخر ٦٦
وجه تسميته بذلك..... ٦٦
حكم الإيمان به وبما يقع فيه ٦٦
أدلة ثبوته ٦٧
نموذج من ثمراته ٦٨
الأساس السادس من أسس العقيدة الإيمان بالقدر .
المراد بالقدر عند علماء التوحيد ٦٩
أدلة القدر مفصلة..... ٦٩
إثبات القدر لا يتعارض مع وجوب الأخذ بالأسباب المشروعة ٧١
إثبات القدر لا يعتبر مبرراً لترك الطاعة والوقوع في المعاصي ٧١
كلام الشيخ حافظ في مراتب القدر بتصرف ٧١

بيان موقف أهل السنة والجماعة في باب القدر ٧٤
بيان موقف كل من الجبرية والقدرية في باب القدر ٧٥
ثمرات الإيمان بالقدر ٧٦

الباب الثاني

ويشمل: أهداف العقيدة الإسلامية وإيضاح مقاصدها

الهدف الأول : من أهداف العقيدة الإسلامية – تحرير الإنسان من
الرق والخضوع لمخلوق مثله ٧٨
الهدف الثاني : توجيه الإنسان إلى الله خالقه وبارئه والتحذير من
التقليد لأعداء الدين ٨١
الهدف الثالث : إخلاص النية في جميع الأعمال ٩٣
اقرأ إجابة سائل ٩٣
الهدف الرابع : الراحة النفسية والفكرية ٩٧
الهدف الخامس : سلامة القصد والعمل من الانحراف عن سنن الحق،
بيان جهات الانحراف ٩٨
الهدف السادس : الحث على السعي المتواصل في سبيل رضا الله ١٠٠
الهدف السابع : تكوين أمة قوية قوة حسية ومعنوية ١٠٢
الخاتمة: وهي حديث عن مقومات النصر لأهل العقيدة الإسلامية ١٠٤
الفهرس ١٠٩

المركز الدولي للطباعة I.P.C
012/7930415
012/4179887

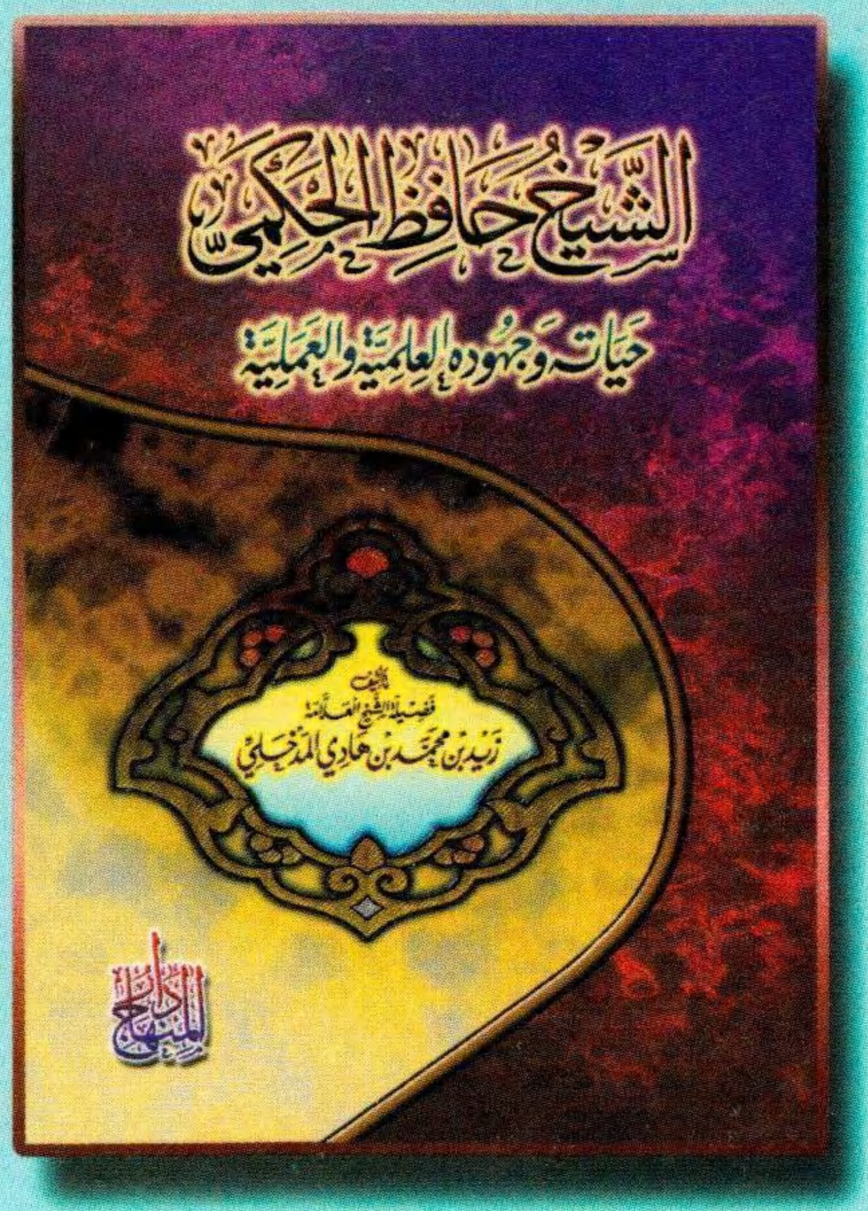

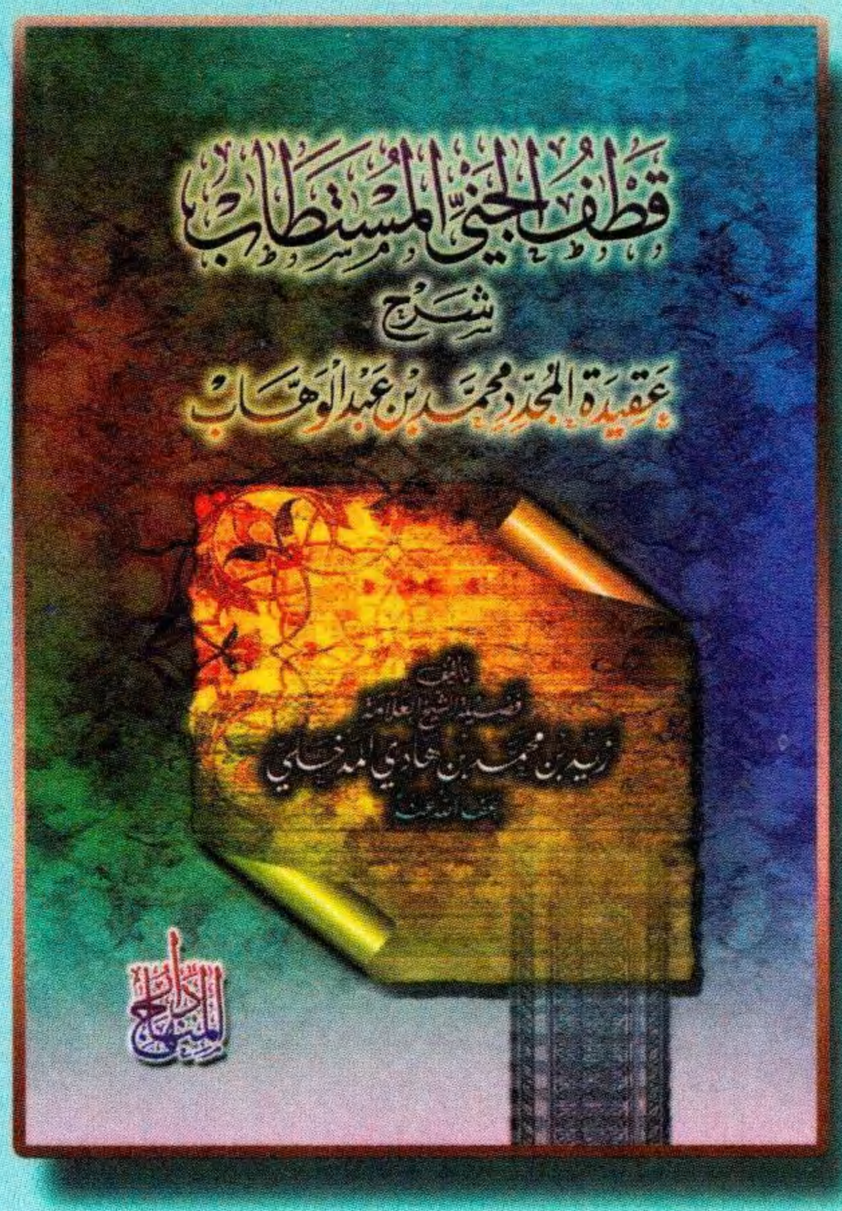

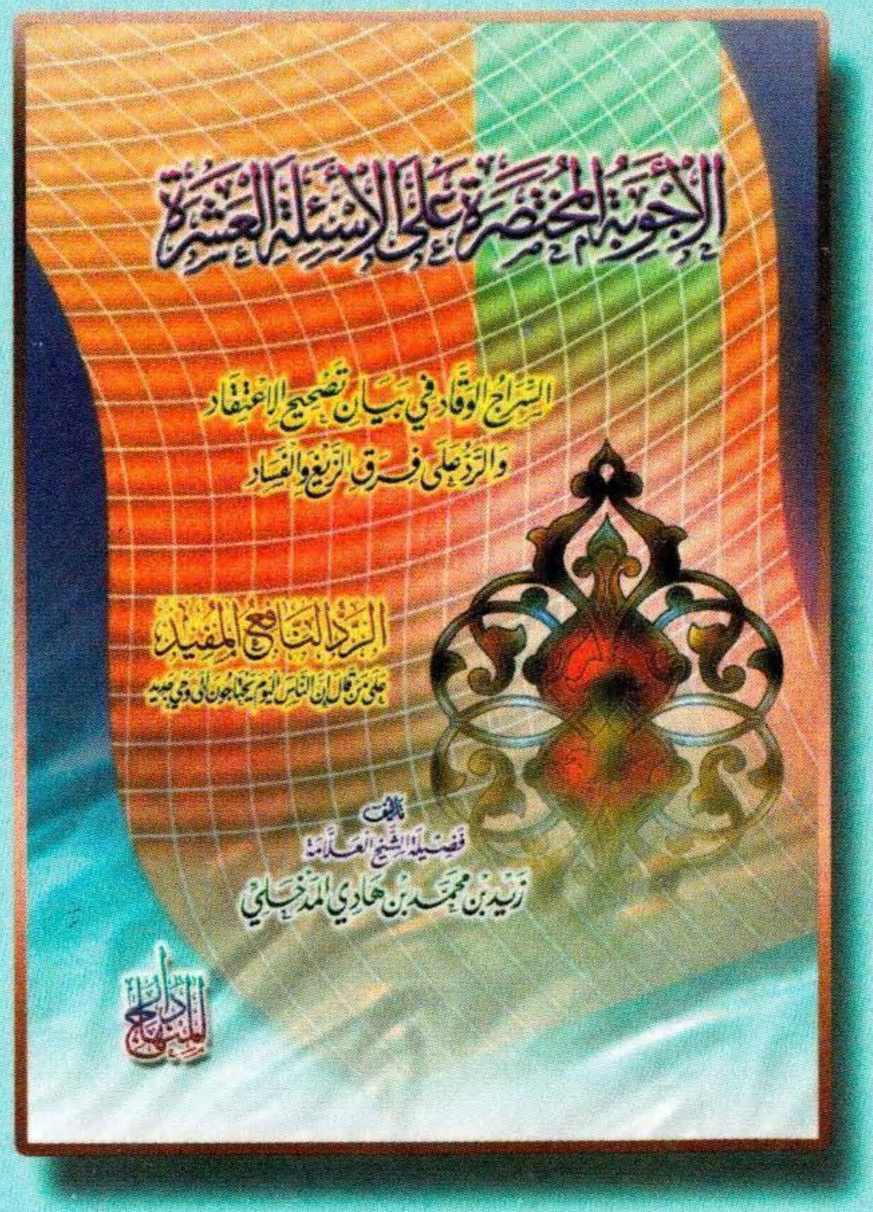

مجالس الهدى للإنتاج والتوزيع الجزائر

١٨ شارع السيدة الإفريقية – باب الوادي– الجـزائر – هاتف: ٠٢١٩٦٦٣١٢ – فاكس: ٠٢١٩٦٦١٠٠

E-mail: Bareed@madjaliss.com